الوطن في الكتاب والسنة

إعداد

د . أحمد بن نافع المورعي

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الكلُّ يعلم أن لكل ذي نفسٍ وطنًا ومأوى، فـ"قرية النمل موضع اجتماعهن والعرب تفرق في الأوطان بين الأسماء فيقولون وطن الإنسان، وعطن الإبل، وعرين الأسد، وكناس الظبي، ووجار الذئب والضبع، وعش الطائر، وكور الزنابير، ونافقاء اليربوع، وقرية النمل"(١).

والوطن: منزل إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد، وهو مكان الإنسان ومحله .

ويقال: الوطن الأصلي ويسمى بالأهلي، ووطن الفطرة هو مولد الرجل، وكذا البلد الذي هو فيه؛ ولد فيه أو لم يولد، ولكن قصد التعيش فيه لا الارتحال عنه.

قال ابن جُماعة في "المنهل الراوي": "قال الحاكم راويا عن ابن المبارك: إن من أقام في مدينة أربع سنين فهو من أهلها، وروي ذلك عن غيره أيضًا. والله أعلم."

والوطنية: صفة، وهي: العاطفة التي تُعبِّر عن ولاء المرء لبلده، والمقصود هنا أن يكون ولاء المرء المسلم لبلده من أجل كلمة التوحيد الظاهرة، وشرائع الدين المطبقة.

---

(١) كشف المشكل لابن الجوزي (٣/ ٣٦٣)،وانظر الفتح (٦/ ٣٥٨).

بمعنى: أن الوطنية؛ هي: قيام الفرد المسلم بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام.

أما حب الوطن فلا يحتاج إلى ترويج لأنه فطري مغروس بالنفس الإنسانية غرسا تكوينيا من طفولة ومراتعها وذكريات وحلاوتها تبقى في ذاكرة الإنسان عزيزة عليه حتى شيخوخته، حب الوطن غريزة متأصلة في النفوس تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحن إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هوجم ويغضب له إذا انتقص.

الوطن هو تلك البقعة الجغرافية التي ينتمي إليها الإنسان، وقد اختارها أجداده منذ القدم لتكون موقع سكناهم، وموئل ذكراهم، وأديم خطواتهم، ومعترك نوازلهم.. يخوضون سهولها وجبالها، ويبلون في حمايتها ورعايتها ورفع شأنها، يلزمون تضاريسها ويذودون عن حدودها، ويحصدون من خيراتها فيعيشون ويسعدون.. وهي في عيون أهلها جنة الدنيا، فيها رغد حياتهم، وأمن نفسهم، وموطئ تاريخهم.. يعمرونها بنسلهم، ويقيمون عليها حضارتهم، ويلبسونها أزياء عزهم وفخارهم، فمجدهم من مجدها، وعزهم من عزها، وحريتهم من حريتها، وشرفهم من شرفها، يقدمون في سبيلها الغالي والنفيس وتهون لأجلها الأرواح والأموال.

فالأوطان ضرورة حياتية، ومطلبٌ لتحقيق الأمن والاستقرار، ومن خصائص الإنسان أنه كائن بشري يحتكم بعقل ووجدان، له حاجاته، وعليه واجباته، ولا يتأتى الحال لكليهما إلا على ثرى وطن خاصته، يضمن له الحياة

الكريمة، والتناسل الآمن، والعيش السالم، ثم حفرة في ترابه تحتضن جثمانه حينما تفارق جسده الروح.

إن ارتباط الإنسان بوطنه وبلده،مسألة متأصلة في النفس فهو مسقط الرأس، ومستقر الحياة،ومكان العبادة،ومحل المال والعرض ومكان الشرف على أرضة يحيا، ويعبد ربه ومن خيراته يعيش،ومن مائة يرتوي، فكرامته من كرامته وعزته من عزته به يعرف وعنه يدافع،والوطن نعمة من الله علينا والأصل في الإنسان أن يحب وطنه ويتشبث بالعيش فيه ولا يفارقه رغبة عنه، ومع ذلك فإن خرج فلا يعني هذا انقطاع الحنين والحب للوطن،والتعلق بالعودة إليه.

يقول الدكتور / بدر بن ناصر البدر: (ارتباط الإنسان بوطنه وبلده، مسألة متأصلة في النفس، فهو مسقط الرأس، ومستقر الحياة، ومكان العبادة، ومحل المال والعرض، ومكان الشرف، على أرضيه يحيا، ويعبد ربه، ومن خيراته يعيش، ومن مائه يرتوي، وكرامته من كرامته، وعزته من عزته، به يعرف، وعنه يدافع، والوطن نعمة من الله على الفرد والمجتمع، ومحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها، ولا يخرج الإنسان من وطنه إلا إذا اضطرته أمور للخروج منه، كما حصل لنبينا محمد ﷺ عندما أخرجه الذين كفروا من مكة، قال تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ (التوبة: ٤٠)(١).

فالأوطان تحقق مصالح شعوبها، وهي مصالح جوهرية تتعلق بوجود

(١) موقع الدكتور بدر ناصر البدر على الشبكة العنكبوتية في مقالة له بعنوان مفهوم الوطنية في الإسلام .

الإنسان وحاجاته ومقومات حياته بما فيها أمنه، وبفقد الأوطان يختل نظام الحياة، ويتهدد وجود إنسانه، وينتابه الخطر والدمار والفوضى والمشقة، ويفتقد أمنه وكرامته، وتنهار مصالحه.

والشريعة الإسلامية جاءت لتأمين مصالح الإنسان، وتحقيق سعادته، وتوفير أسباب وجوده، وفي ذات الوقت تحفظ هذه المصالح وترعاها وتصونها، وتمنع الاعتداء عليها أو الإخلال بها، ولا يمكن لهذه المصالح أن تتوفر إلا في ظل نظام إسلامي على أرض وطن إسلامي يتفعل دور الانتماء إليه.

والوطن في المفهوم الإسلامي، هو العالم الإسلامي بأراضيه المترامية، وتضاريسه الممتدة مهما كبر وتوسع، وإن امتد من محيط لمحيط، أو من جانب لجانب من الأرض، أو حتى لو غطى الأرض جميعها، فمن المفترض أن يكون دولة إسلامية واحدة، على نظام الإمارات أو الولايات التي تعود بإدارتها إلى حاكم واحد مرجعيته الإسلام، يطبق دستور وشرع الإسلام.. ومن يجد في ذلك غرابة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمواصلات الجوية السريعة، فأقول إن الدولة الإسلامية الواحدة امتدت من الصين إلى المغرب الأفريقي على مشارف المحيط، كانت ناجحة جدًا رغم بدائية المواصلات وصعوبة الاتصالات آنذاك.

وفي تأكيد الدولة الإسلامية الواحدة كان قول النبي ﷺ (إذ بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري –كتاب الإمارة[1].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٤٢ .

ولم الاستغراب والولايات المتحدة الأمريكية تكاد تغطي ثلثي قارة أمريكا الشمالية، وروسيا العظمى امتدت عبر قارتي أوروبا وآسيا، وكلتاهما عبارة عن مجموعة كبيرة من الولايات. وإن العولمة التي تنادي بها اليوم أمريكا، ما هي إلا قاعدة لصنع الدولة الأمريكية العالمية مستقبلًا، لأنها أدركت القيمة الحقيقية لهذا التصور في صنع القوة، ولهذا شرعت في إيجاد وسائل جديدة في تغيير مفهوم الأوطان والانتماءات، الذي لا يمكن أن يتأتى لها بدون إزاحة الإسلام عن الوجود، فالإسلام القوة الوحيدة التي تستطيع أن تنافس مفهوم الوطن العالمي الكبير، لأنه دين المبادئ المكينة.

ولذا كتبت في هذا الموضوع لعلي أن أساهم بشيء من التأصيل لهذا الموضوع الشائك في نظر كثير من شباب الصحوة تنويرًا لعقولهم وتوضيحًا لأفكارهم وإزالة للشبه التي أثيرت حول موضوع المواطنة ورفض كثير من الاسلاميين لها.

لماذا الحديث عن هذا الموضوع؟.

ولعل من أهم هذه الحاجات والمبررات النقاط التالية:

١- إن المواطنة اليوم من الحقائق الدستورية والقانونية والسياسية الهامة، والتي تؤثر في واقع المجتمعات الإسلامية على أكثر من صعيد ومستوى. فالأمة الإسلامية اليوم، موزعة في أوطان متعددة، وفي كل وطن مكونات متعددة، وقوانين مختلفة، مما يفضي إلى حقيقة وهي أن العلاقة الوطنية، هي العلاقة الحاكمة والتي تتجاوز كل العلاقات أو لها الأولوية على بقية العلاقات ودوائر

الانتماء. ولا ريب أن هذه المسألة، تثير الكثير من الأسئلة والإشكاليات التي لا يمكن الإجابة عليها إلا بصياغة نظرية فقهية متكاملة تجاه مبدأ وواقع الوطن والمواطنة اليوم.

٢- إن الإنسان، أي إنسان، في حياته وممارساته الاجتماعية الطبيعية، ينتمي إلى دوائر إنسانية عديدة، تتكامل هذه الدوائر في حياته، دون تناقض والتباس. والانتماء الوطني هو من أحد هذه الدوائر التي ينتمي إليها الإنسان، دون أن يشعر أنها متناقضة مع انتمائه الأسري أو ما أشبه ذلك.

ويشير إلى هذه الحقيقة الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: تبتدئ (أي عملية التوفيق بين الانتماءات) بمحبة الأسرة والعشيرة، ثم الجماعة، ثم الوطن، ثم الجماعة الكبرى في الإسلام، ولا تلغي الدرجة العليا ما دونها، ولكن المنهي عنه المحبة التي تؤدي إلى الفرقة والانقسام، وتحرض على الظلم، وهي العصبية الجاهلية. ونحن نرى أن وجود تنظيرات فقهية- تفصيلية حول مسألة الانتماء الوطني بكل مقتضياته ومتطلباته، يساهم في سلامة واستقرار الإنسان النفسي والثقافي والاجتماعي.

٣- إن الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية، التي تعيشها المجتمعات الإسلامية اليوم، هي ظروف حساسة وصعبة على أكثر من صعيد ومستوى، كما أن التحديات التي تواجهها، تحديات مرتبطة باستقرارها ووحدتها الداخلية. لهذا فإن الحاجة ماسة اليوم، لكل الجهود والمبادرات التي تساهم في تعزيز الجبهة الداخلية والوحدة الداخلية للمجتمعات الإسلامية. ومن المؤكد أن خروج

العلماء والفقهاء من ترددهم من بحث وبيان مسألة الانتماء الوطني وقضايا المواطنة، سيساهم مساهمة كبيرة وأساسية في مشروع تعزيز الوحدة الداخلية والاستقرار السياسي لهذه المجتمعات.

٤- إن الانتماء الوطني يتجذر ويتعمق في واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ويأخذ دوره الطبيعي في حياة الإنسان الخاصة والعامة، حينما ينفتح هذا المفهوم على الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والإنسانية التي يختزنها الإنسان من روافد متعددة. وانفتاح الجهد العلمي- الفقهي على هذه المسألة الحيوية، سيضيف لهذا الانتماء أبعاده الثقافية والإنسانية التي تبعده عن كل أشكال الشوفينية والنرجسية.

فحينما ينفتح انتماؤك الوطني على إنسانيتك ومخزونك الثقافي والإنساني، حينذاك سيثرى هذا المفهوم إنسانية ونبلا. أما حينما ينغلق هذا المفهوم وتحول عوامل ذاتية أو موضوعية دون التواصل والانفتاح على إنسانية الإنسان، فإنه سيصاب بالبساطة والتصحر، لأنه لم ينفتح ولم يستفد من البعد الإنساني الذي يختزنه كل مواطن.

إن المواطن هو الذي يمنح مفهوم الانتماء الوطني حركيته وديناميته وفعالياته. لذلك فإن انفتاح هذا المفهوم على المواطن بخصوصياته الثقافية والإنسانية، سيساهم في تحريك كل المواطنين باتجاه إثراء مفهوم الانتماء الوطني بالمزيد من الحقائق الثقافية والإنسانية.

إشكاليات البحث

الوطن والمواطنة مصطلحان يطرحان بتوسع في الكثير من الأوساط الثقافية، وقد تباينت آراء الكثير من المثقفين ما بين مؤيد وما بين معارض، فيا ترى ما موقف الإسلام منهما، وهل هما نقيضان لمفهوم الوطن الإسلامي الكبير.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وبابين وخاتمة والكشافات العلمية.

أما المقدمة فتناولت أهمية الموضوع ولماذا الحديث اليوم عن المواطنة وإشكالية البحث وخطة البحث.

وأما الباب الأول فقد جعلته في تأصيل مفهوم المواطنة وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف الوطن في اللغة والقران والسنة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوطن في اللغة.

المبحث الثاني: تعريف الوطن في القران.

المبحث الثالث: تعريف الوطن في السنة.

الفصل الثاني: تعريف المواطنة والوطنية ومفهومها في الفكر السياسي الإسلامي وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوطن والمواطنة والوطنية.

المبحث الثاني: مفهوم المواطنة والفكر السياسي الإسلامي.

المبحث الثالث: ظهور مصطلح الوطنية.

المبحث الرابع: إشكاليات مفهوم الوطنية عند الرافضين لها.

المبحث الخامس: التطبيقات العملية على المواطنة من عهد الرسول ﷺ وحتى عصرنا الحاضر.

المبحث السادس: كيف يكون حب الوطن وواجبنا نحوه

وأما الخاتمة ففيها أهم نتائج البحث.

ثم اتبعت ذلك بملحق فيه فتاوي لبعض المشايخ حول موضوع الوطن والوطنية.

ثم اتبعت ذلك بكشافات علمية على النحو التالي:

أ – كشاف المصادر والمراجع.

ب – كشاف فهرس المواضيع.

الباب الأول:

تأصيل مفهوم المواطنة وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف الوطن في اللغة والقرآن والسنة.

الفصل الثاني: تعريف المواطنة والوطنية ومفهومهما في الفكر السياسي الإسلامي.

الفصل الأول: تعريف الوطن في اللغة والقرآن والسنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوطن في اللغة.

المبحث الثاني: تعريف الوطن القرآن.

المبحث الثالث: تعريف الوطن في السنة.

المبحث الأول: تعريف الوطن في اللغة .

الوطن في اللغة:

إن كلمة وطن عربية خالصة يقول ابن فارس في المقاييس الواو الطاء والنون كلمة صحيحة.

الوطن محركة ويسكن منزل الإقامة(١) وقيل محل الإنسان(٢)، والموطن: المشهد من مشاهد الحرب، قال تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ التوبة ٢٥، ومواطن مكة مواقفها ومن الحرب مشاهدها قال طرفة:

على موطن يخش الفتى عنده الردى   متى تعترك فيه الفوارس ترعد.

وقال ابن منظور: الوطن هو المنزل تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله(٣).

وقال الزبيدي: الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله وجمعها أوطان(٤).

ويطلق على مربض البقر والغنم والجمع أوطان ووطن به يطن وأوطن أقام والأخيرة أعلى وأوطنه: اتخذه وطنا يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها.

وعلى هذا فكل من أقام في مكان فهو وطن له وإن لم يولد فيه.

قال الأزهري: وأما الوطن فكل مكان قام به الإنسان لأمر فهو موطن له(٥).

(١) القاموس المحيط ٤/ ٢٧٦ .
(٢) الصحاح ٦/ ٢٢١٤ والمقاييس لابن فارس .
(٣) لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٤٥١ .
(٤) تاج العروس ٩/ ٣٦٢ .
(٥) معجم تهذيب اللغة للأزهري .

وقد خففه رؤبة بقوله:

كيما ترى أهل العـــــراق أنني أوطنت وطنا لم يكن وطني
لو لم يكن عاملها لم اسكن بها ولم ارجن بها في الرجن

وواطنه ووطنه واستوطنه اتخذه وطنا وكذلك الاتطان وهو افتعال منه.

وفي صفته ﷺ: كان لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به وفي الحديث أنه نهى عن نقرة الغراب وأن يوطن الرجل في المكان بالمسجد كما يوطن البعير قيل معناه أن يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا به يصل فيه كالبعير لا يأوي من عطن إلا إلى ميبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخا والعطن للإبل كالوطن للناس وقد غلب على مبركها حول الحوض(١).

وقد قسم الكفوي رحمه الله الوطن إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الوطن الأصلي، وهو المكان الذي ولد فيه الإنسان أو البلدة التي تأهل فيها.

الثاني: وطن الإقامة، وهو البلدة أو القرية التي ليس للمسافر فيها أهل، ونوى أن يقيم فيه خمسة عشر يومًا فصاعدًا.

الثالث: وطن السكنى، وهو المكان الذي ينوي المسافر أن يقيم فيه أقل من خمسة عشر يومًا(٢).

(١) معجم تهذيب اللغة وانظر القاموس المحيط ٤/ ٢٧٦ الصحاح للجوهري ٦/ ٢٢١٤-٢٢١٥ ولسان العرب لابن منظور ومعجم العين للخليل ابن احمد ، وأساس البلاغة للزمخشري ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، ومختار الصحاح للرازي مادة وطن .
(٢) الكليات / ٩٤٠ .

وورد الوطن في اللغة بلفظ القرية وهي تفتح وتكسر بمعنى المصر الجامع وسميت قرية لاجتماع الناس فيها وتطلق على المساكن والأبنية والضياع، وقد تطلق على المدن. والقاري سكان القارية وقرية النمل مجتمع ترابها وقرية الأنصار المدينة والقارية الحاضرة الجامعة كالقاراة وقروة البلاد قروا وقريتها واقتريتها واستقريتها إذا تتبعتها تخرج من ارض إلى ارض(١).

* * *

(١) القاموس المحيط ٤/ ٣٧٧ والصحاح ٦/ ٢٤٦٠-٢٤٦١ . لسان العرب لابن منظور معجم العين للخليل ابن احمد ، المختار للرازي .

المبحث الثاني: تعريف الوطن في القرآن

الوطن في القران:

لم ترد هذه اللفظة (الوطن) في القران البتة وإنما وردت كلمة (مواطن) في موضع واحد في قوله تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ التوبة ٢٥، ومعناها المواقف والمشاهد قال النسفي: كانت ثمانين موطنا من مواطن الحرب(١)، وكلمة وطن وان لم ترد في القران بصيغتها الثلاثية هذه فإن مدلوها أو مفهومها الأساس ورد بيقين في القران مع تنوع في الصيغ التعبيرية واللفظية.

والألفاظ التي تعبر عن الوطن في القران كثيرة منها:

أولًا: الدار ومشتقاتها وهي داركم وداره ودارهم والديار ودياركم وديارنا وديارهم وعددها في القران (١٨) مرة(٢)، وقد أطلقت كلمة الدار على عدة معان هي:

أ- البلدة التي ولد ونشأ فيها الإنسان ومنه قوله تعالى عن الأنصار ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ الحشر ٩ والمقصود بالدار هنا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ومنه قوله تعالى عن قوم ثمود ﴿فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ هود ٦٥ والمراد بها بلدتهم التي عاشوا فيها، وهكذا في الآيات الأخرى التي تتحدث عن مصير القوم المكذبين ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ عن قوم صالح الأعراف ٧٨ وفي سورة هود ٦٧ ﴿وأخذ الذين ظلموا

(١) تفسير النسفي ٨/ ٤٣٨.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٣٦ تفسير النسفي ١/ ٤٣٨ زاد المسير ٣/ ١٦٢ .

الصيحة﴾ وعن قوم شعيب ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ الأعراف ٩١ وكذلك في سورة العنكبوت ٣٧ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ وقوله في سورة هود ٩٤ ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ وكذلك حينما تحدث القرآن عن المهاجرين فقال في سورة الحشر ﴿للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ الحشر ٨ وفي سورة الحج ٤٠ ﴿الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ والمراد بها مكة، وقوله ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم﴾ ال عمران ١٩٥ وحديث القران عن المشركين وتخويفهم بالعذاب ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة بما صنعوا أو تحل قريبا من دارهم﴾ الرعد ٢١، وقوله ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس﴾ الأنفال ٤٧ وكذلك قوله في سورة الإسراء ٥ ﴿فبعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ وكذلك في أخذه الميثاق من بني إسرائيل كما في سورة البقرة ٨٤ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ وفي قوله ﴿ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾ البقرة ٨٥ وكذلك قوله ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ النساء ٦٦ وقوله ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ الممتحنة ٨ وقوله ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم﴾ الممتحنة ٩ وقوله ﴿وقالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ البقرة ٢٤٦ وقوله ﴿الم تر إلى

الذين خرجوا من ديارهم﴾ البقرة ٢٤٣ وقوله عن يهود بني قريظة ﴿وأورثناكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ الأحزاب ٢٧ وقوله عن بني النضير ﴿هو الذين اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم أول الحشر﴾ الحشر ٢

ب- وتطلق على دار الإنسان المخصوص التي يعيش بها قال الله عن قارون في سورة القصص ٨١ ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ والمراد بيته.

وتطلق على الدار الآخرة كما في قوله ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس﴾ البقرة ٩٤ وأطلقت بهذا اللفظ تسع مرات وجاءت بلفظ دار السلام مرتين وبلفظ دار المقامة مرة واحدة وبلفظ عقبى الدار ثلاثة مرات وبلفظ عاقبة الدار مرتين وبلفظ دار الفاسقين مرة واحدة وبلفظ سوء الدار مرتين وبلفظ دار البوار مرة واحدة وبلفظ دار المتقين مرة واحدة وبلفظ دار القرار مرة واحدة وبلفظ دار الخلد مرة واحدة وفي آية الأحزاب فقط فرق الله بين الأرض والديار والسؤال لماذا قال تعالى ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم﴾ الأحزاب٢٧، فهل هناك فرق بين الأرض والديار؟.

ويلاحظ من خلال التعبير القرآني عن كلمة الوطن أن الله جعله قرين قتل النفس ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم﴾ النساء٦٦، وان الإنسان مستعد للتضحية من اجل بلده وذريته ﴿قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبناءنا﴾ البقرة٢٤٦، وأن الله جعل إخراج أي إنسان من بلده سببا للأذن له بالقتال لتحرير وطنه ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ الحج ٣٩، ووعد الذين أخرجوا بالأجر العظيم

﴿فالذين هاجرو وأخرجوا من ديارهم﴾ ال عمران ١٩٥.

ثانيا- الأرض وهي تطلق على البلد وهي تطلق على البلد الذي يعيش فيه الإنسان بكامله ومنه قوله تعالى ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ الأعراف ١١٠ وكذلك قوله ﴿إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ طه ٩٣ وقوله ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ الشعراء ٣٥، وقوله ﴿قالوا أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ طه ٧٧ والمراد بها أرض مصر.

وكذلك في قول المكذبين لرسلهم ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ إبراهيم ١٣ وكذلك قول قريش للرسول ﷺ ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ القصص ٥٧.

وكذلك اخبر عن يهود بني قريظة ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ الأحزاب ٢٧.

وورد مفهوم الوطن في القران الكريم في صيغة الأرض المخصوصة ومنه قوله ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ الإسراء ٧٦، والأرض المخصوصة المقصودة هنا هي مكة، وطن النبي ﷺ الأول ميلادًا ونشأة وشبابًا وزواجًا وبعثة وبلاغًا والإنسان مهما بعد عن وطنه فإن حنين الرجوع إليه يبقى معلقًا في ذاكرته لا يفارقه، ومن أجل هذه الفطرة بشر الله تعالى نبيه ﷺ وهون عليه لوعته بفراق مكة وأنزل عليه قوله سبحانه ﴿إن الذي فرض عليك القران لرادك إلى معاد﴾ القصص ٨٥

قال ابن عباس رضي الله عنه: أي إلى مكة(1).

والأرض ارض الله ﴿إن الأرض لله﴾ الأعراف ١٢٨.

وإذا تعارض الولاء للأرض مع الولاء للدين يقدم الولاء للدين فارض الله واسعة ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ النساء ٩٧، وقال سبحانه ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ العنكبوت ٥٦.

ثالثا- كلمة قرية تطلق على البلد الذي يعيش فيه الإنسان بكاملها ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾ محمد ١٣ فسمى الله مكة قرية، وقال عن أصحاب قوم لوط ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾ الأعراف ٨٢ وقال عن أصحاب شعيب ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا﴾ الأعراف ٨٨.

رابعًا- وورد أيضا بلفظ البلد والبلدة مكة شرفها الله وكل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غير عامرة خال أو مسكون فهو بلد ومنه قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ إبراهيم ٣٥ وقوله ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ النحل ٧، وقوله ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ ال عمران ١٩٦، وسمى الله الخروج من الأوطان بالإخراج ﴿للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ الشعراء ٨.

ويطلق على التراب والقبر والمقبرة والدار والأثر وجنس المكان كالعراق والشام والبلدة الجزء المخصص كالبصرة ودمشق وبلد بالمكان بلودا أقام ولزمه

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير الجزء السادس .

وأخاذ بلدا وأبلده إياه ألزمه وبلدوا تفرجوا وخرجوا لزموا الأرض يقاتلون عليها والتبلد التسلط على بلد الغير والنزول ببلد ما به احد[1]، وهناك سورة في القرآن باسم سورة البلد وهي السورة رقم ٩٠ في المصحف الشريف يقول الله تعالى ﴿لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد﴾ البلد ١ ومنها بلدة وبلاد قال تعالى ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ سبأ ١٥، وقوله تعالى ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ الفجر ٨.

خامسًا- وردت كلمة هاجروا في التعبير عن مفارقة الأوطان وهي كثيرة منها ﴿إن الذين امنوا وهاجروا﴾ الأنفال ٧٢.

سادسًا- وردت كلمة الجلاء وهو نوع من التعذيب في إخراج الإنسان من وطنه ﴿ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا﴾ الحشر ٣.

الإخراج من الأوطان هي عقوبة الظالمين للمؤمنين من القديم والحديث وهي أشدها على النفس.

فقوم نبي الله لوط (عليه السلام) توعدوه والمؤمنين به بأن يخرجوهم من بلادهم نكاية بهم لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله وخالفوا السلوك المنحرف الشاذ لقومهم: ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنَهم أناس يتطهرون﴾ الأعراف ٨٢.

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ النمل ٥٦.

---

(١) القاموس المحيط ١/ ٢٧٨-٢٧٩ مقاييس اللغة لابن فارس .

ونبي الله شعيب (عليه السلام) كذلك شهر أمامه المتسلطون سلاح الإبعاد عن الوطن لإخضاعه لآرائهم الفاسدة بالإكراه ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾ الأعراف٨٨.

ويبدوا أن هذا هو منهج جميع المتسلطين الكافرين تجاه الأنبياء والمؤمنين يقول تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ إبراهيم ١٣.

سابعًا- وردت كلمة معاد ومنه قوله تعالى ﴿إن الذي فرض عليك القران لرادك إلى معاد﴾ القصص ٨٥.

وفي القران حنين موسى لوطنه ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهل آنس من جانب الطور نارًا﴾ القصص ٢٩، قال ابن العربي: قال علماؤنا لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله وحن إلى وطنه، وفي الرجوع إلى الأوطان تقتحم الأغرار وتركب الأخطار وتعلل الخواطر، ويقول: لما طالت المدة لعله قد نسيت التهمة وبليت القصة.

وحب الوطن يجعل الإنسان يدفع عنه العدو إذا هاجمه أو أخرجه العدو منه، والله سبحانه يحكي عن المؤمنين فيقول الله تعالى ﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا﴾ البقرة ٢٤٦.

ومفارقة الأوطان، يكون إما إيذاء على الإيمان، أو عقوبة وخذلانا، ففراق الأوطان لأي من السببين معادلة لقتل النفس. قال تعالى ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن

اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ النساء ٦٦.

أما فراق الأوطان بسبب الإيذاء على الإيمان، فهو خروج النبي ﷺ من مكة بسبب مضايقة كفار قريش له ولمن أسلم آنذاك من قريش، قال ﷺ: (...ولولا أن قومك أخرجوني ما سكنت غيرك).

وأيضًا فراق المهاجرين الأُوَل لموطنهم مكة، "فقد وصف الله تعالى المهاجرين الأولين بقوله: ﴿إن الذين ءامنوا وهاجروا﴾ الأنفال ٧٢.

قوله: (وهاجروا)، يعني: فارقوا الأوطان، وتركوا الأقارب والجيران؛ في طلب مرضاة الله، ومعلوم أن هذه الحالة حالة شديدة قال تعالى ﴿ولو أنا كتبنا أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ النساء ٦٦.

جعل- الله تبارك وتعالى- مفارقة الأوطان؛ معادلة لقتل النفس، فهؤلاء في المرتبة الأولى: تركوا الأديان القديمة لطلب مرضاة الله تعالى، وفي المرتبة الثانية: تركوا الأقارب والخلان والأوطان والجيران لمرضاة الله تعالى.

وأما أنْ يكون فراق الأوطان عقوبة؛ فالعقوبة على نوعين: نوع عذاب وهو على الكفار، فقد أخبر الله تبارك وتعالى عن هذا الصنف فقال عز وجل﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدينا ولهم في الآخر عذاب النار﴾ الحشر ٣.

معنى (الجلاء) في اللغة: الخروج من الوطن والتحول عنه(١)، والجلاء نوع من أنواع التعذيب.

---

(١) التفسير الكبير للرازي / ٢٤٦.

وما أقساه من خروج وما أشدَّه! لذلك وصف الله الصحابةَ الذين أُخرجوا من ديارهم بالمهاجرين، وجعل هذا الوصفَ مدحًا لهم على مدى الأيام، يُعلي قدرَهم، ويبيِّن فضلَهم؛ قال- تعالى-: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ الحشر: ٨.

ولما كان الخروج من الوطن يبعث على كل هذا الحزن، ويُسبِّب كلَّ هذا الألم، قرن الله- عز وجل- حبَّ الأرض في القرآن الكريم بحبِّ النفس؛ قال- تعالى-: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ النساء ٦٦.

بل قرنه في موضعٍ آخرَ بالدِّين، والدين أغلى من النفس، ومقدَّمٌ عليها لمن يفقه؛ قال- تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ الممتحنة ٨.

وقال ابن عبد البر في "التمهيد": "هذا كله وما أشبهه من العذاب والله أعلم".

والنوع الآخر من العقوبة بمفارقة الأوطان، هو ردع للمسلم وزجر له، كي لا يعود للمخالفة، قال تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الأرض﴾ المائدة ٣٣.

أي: "يطرد من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع".

"واختار ابن جرير أن المراد بالنفي في هذه الآية أن يخرج من بلده إلى بلد

آخر فيسجن فيه وروي نحوه عن مالك أيضًا، وله اتجاه؛ لأن التغريب عن الأوطان نوع من العقوبة كما يفعل بالزاني البكر وهذا أقرب الأقوال لظاهر الآية"(١).

وكما غرب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نصر بن حجاج إلى البصرة بسبب أنه لجماله افتتن بعض النساء به.

ومما سبق تبين لنا أن "حب الوطن" غريزة متأصلة في نفوس الناس على اختلاف أديانهم ومناهجهم وأجناسهم.

والإنسان مهما بعد عن وطنه فإن حني الرجوع إليه يبقى معلقًا في ذاكرته لا يفارقه ومن أجل هذه الفطرة بشر الله تعالى نبيه ﷺ وهون عليه لوعته بفراق مكة وأنزل عليه قوله تعالى ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ القصص ٨٥، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي إلى مكة.

***

(١) أضواء البيان للشنقيطي .

المبحث الثالث: تعريف الوطن في السنة .

الوطن في السنة.

أما في السنة فقد وردت كلمة وطن في حديث: وهي وطني وداري[١]، وعن عثمان أنه صلى أربعا في بمنى لأنه اتخذها وطنا[٢].

وفي مسند احمد: ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم[٣].

ووردت لفظة وطّن ومنه حديث: يا موسى وطن نفسك بالصبر[٤]، وبلفظة وطَّن ففي قصة يأجوج ومأجوج: يقول رجل قد وطن نفسه[٥].

ووردت كلمة توطن ومنه الحديث: ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر[٦]، وحديث نهي أن يوطن الرجل مكانه في المسجد كما يوطن البعير[٧]، وحديث: كان لا يوطن الأماكن ونهى أن يوطن الرجل المكان في المسجد ونهى عن إيطان المساجد[٨].

(١) د امارة ٣٦ ، وذكره الألباني في ضعيف أبي داود حديث رقم ٣٠٧ .

(٢) د مناسك ٧٥ .

(٣) حم ١/ ٢٧٥ .

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٣٢٥ قوال : وفيه زكريا بن يحيى الوقار وقد ضعفه غير واحد وذكره ابن حبان في الثقات وذكر أنه أخطأ وصله والصواب فيه عن سفيان الثوري أن رسول الله ﷺ قال بيته ، ورجاله ثقات .

(٥) صحيح ابن ماجه للألباني رقم ٣٣١٣ .

(٦) جه مساجد ١٩ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة .

(٧) صلا ١٤٤ ن تطبيق ٥٥ جه اقامه ٢٠٤ دي صلا ٧٢٥ حم ٢/ ٣٢٨ ، ٤٥٣ ، ٣/ ٤٢٨ ، ٤٤٤ ، ٥/ ٤٤٧ .

(٨) خ تفسير سورة ٩ ، ٢٠ فضائل القران ٣ احكام ٣٧ ت تفسير سورة ٩٨ ، حم ١/ ١٣ .

والمواطن بمعنى الأماكن فنهي رسول الله ﷺ عن الصلاة في سبع مواطن[1].

كذلك وردت كلمة قرية بمعنى الوطن ومنه الحديث: (فيقول هذه قرية وذلك الرجل)[2]

وقوله: (وآخر قرية من قرى الإسلام خرابًا المدينة)[3].

وقد فرقت السنة بين القرية والمدينة، ومنه الحديث: (أفي مدينة تسكن اليوم أو في قرية؟

قال: لا بل في قرية)[4].

وكذلك وردت كلمة أرض بمعنى الوطن ومنه قول بلال: اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، رواه البخاري[5]، أي: وطننا.

قال ابن حجر في الفتح: وقوله: "كما أخرجونا" أي: أخرجهم من رحمتك كما أخرجونا من وطننا"[6]، فلم ينكر النبي ﷺ على بلال ذلك بل دعا الله أن يحبب إليهم المدينة فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد)[7].

(١) ت مواقيت ١٤١ جه مساجد ٤ ، ١/ ٢٤٦ رقم ٧٤٧ .

(٢) حم ٥/ ٢٢٢ رقم ٤٣٦ باب كراهية ما يصل إليه .

(٣) ت مناقب ٦٧ ، ٥/ ٧٢٠ رقم الحديث ٣٩١٩ .

(٤) حم ٦/ ٤٤٥ .

(٥) البخاري حديث رقم ١٨٨٩ .

(٦) فتح الباري ٣/ ٦٢١ .

(٧) البخاري حديث رقم ١٨٨٩ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته، وإن كانت دابة حركها قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير عن حميد: حركها من حبها. رواه البخاري واحمد وغيرهما.

وقوله: "أوضع ناقته": يقال: وضع البعير، أي: أسرع في مشيه، وأوضعه راكبه، أي: حمله على السير السريع.

قال ابن حجر: وفي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه(١).

وقال ابن بطال: وتعجيل سيره إذا نظر إليها من أجل أن قرب الدار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة(٢).

وقال المباركفوري: وفي الحديث دلاله على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه(٣): " ما أطيبك من بلد! وما أحبَّك إليَّ! ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنتُ غيرَك "(٤).

(١) ابن حجر في الفتح ٢/ ٤٩٤ ط٢ دار المعرفة .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن نضال ٣/ ٨٢ .

(٣) تحفة الأحوذي٩\٢٨٣ دار الكتب العلمية ط الأولى.

(٤) رواه الترمذي برقم ٣٠٨٣ وابن حبان والحاكم في المستدرك ١/ ٤٨٦ والبيهقي في الشعب والمقدسي في المختار بسند صحيح من حديث ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ٢٥٠ رقم ٧٠٨٩ .

ما أروعَكِ من كلمات!

كلمات قالها الحبيب- ﷺ- وهو يودِّع وطنه، إنها تكشف عن حبٍّ عميق، وتعلُّق كبير بالوطن، بمكة المكرمة، بحلِّها وحَرَمها، بجبالها ووديانها، برملها وصخورها، بمائها وهوائها، هواؤها عليل ولو كان محمَّلًا بالغبار، وماؤها زلال ولو خالطه الأكدار، وتربتُها دواء ولو كانت قفارًا.

ولقد ثبت في الحديث الصحيح عن عائشة- رضي الله عنها-: أن النبي- ﷺ- كان يقول في الرقية: «باسم الله تربة أرضنا، وريقة بعضنا، شفي سقيمنا، بإذن ربنا)) رواه البخاري(١) ومسلم(٢).

والشفاء في شم المحبوب، ومن ألوان الدواء لقاءُ المحبِّ محبوبَه أو أثرًا من آثاره؛ ألم يُشفَ يعقوبُ ويعود إليه بصره عندما ألقَوْا عليه قميصَ يوسفَ.

قال الجاحظ: كانت العرب إذا غزَتْ، أو سافرتْ، حملتْ معها من تربة بلدها رملًا وعفرًا تستنشقه(٣).

إنها الأرض التي ولد فيها، ونشأ فيها، وشبَّ فيها، وتزوَّج فيها، فيها ذكرياتٌ لا تُنسى، فالوطن ذاكرة الإنسان، فيها الأحباب والأصحاب، فيها الآباء والأجداد.

وكان يحن إليها وهو في المدينة المنورة، فقد ذكرت كتب السيرة أن النبي ﷺ لما صار-في هجرته- بظاهر مكة التفت إلى مكة وقال- بلهجة حزينة مليئة

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح مسلم

(٣) الحنين إلى الأوطان للجاحظ

أسفا وحنينا وحسرة وشوقا- مخاطبا إياها: "والله إني لأخرج منك، وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله، وأكرمها على الله، وإنك لأحب أرض الله إليّ، ولولا أنّ أهلك أخرجوني منك قهرًا ما خرجت من بلادي".

ولقد سمع رسول الله ﷺ وصف مكة من "أصيل" فجرى دمعه حنينا إليها، وقال: "يا أصيل دع القلوب تقر"، وقد أخرج الأزرقي في "أخبار مكة" عن ابن شهاب قال: قدم أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي فدخل على عائشة رضي الله عنها فقالت له: يا أصيل! كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، قالت: أقم حتى يأتيك النبي فلم يلبث أن دخل النبي، فقال له: (يا أصيل! كيف عهدت مكة؟) قال: والله عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق أذخرها، وأسلت ثمامها، وأمشّ سلمها، فقال: (حسبك يا أصيل لا تحزنا)(١).

أرأيت كيف عبر النبي الكريم محمد ﷺ عن حبه وهيامه وحنينه إلى وطنه بقوله: "يا أصيل دع القلوب تقر"، فإن ذكر بلده الحبيب-الذي ولد فيه، ونشأ تحت سمائه وفوق أرضه، وبلغ أشده وأكرم بالنبوة في رحابه-أمامه يثير لواعج شوقه، ويذكي جمرة حنينه إلى موطنه الحبيب الأثير العزيز.

وقال السهيلي: يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس فعن النبي ﷺ أنه سمع قول ورقة: أنهم يؤذونه ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك فلما ذكر له

(١) تاريخ مكة للأزرقي وأخرجه باختصار ابو الفتح الأزدي في كتابه المخزون في علم الحديث وابن ماكولا في الاكمال وقوله ﷺ: " ويها يا أصيل دع القلوب ... " فيها ضعف أوردها ابن حجر في الإصابة ١/ ٩٢ .

الإخراج تحركت نفسه لذلك لحب الوطن وإلفه فقال: أو مخرجي هم[1].

وقد وردت أكثر من ثلاثين مرة وتعني المكان الذي يعتاده الإنسان ويتخذه محلًا سواء لعبادة أو سكن أو مشاهد للقتال أو الوطن الذي يعيش وينتمي إليه الإنسان بالمفهوم السياسي الشائع الآن.

وروى أحمد بسنده عن أبي سلمة الأنصاري أن رسول الله ﷺ نهى عن نقرة الغراب وأن يوطّن الرجل مقامه في الصلاة كما يوطّن البعير.

روى البخاري في كتاب تفسير القرآن بسنده عن زيد بن ثابت أن أبا بكر قال له: ''إن القتل قد استحر يوم القيامة بالقُرَّاء في كثير من المواطن''.

وأما الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ: " حب الوطن من الإيمان " فهو ليس بحديث بل نص العلماء على أنه موضوع مكذوب على النبي ﷺ.

قال الصاغاني: فمن الأحاديث الموضوعة قولهم: (فذكره ورقمه ٨١).

قال الزركشي: لم أقف عليه.

وقال السيد معين الدين الصفوي: ليس بثابت.

وقيل: إنه من كلام بعض السلف.

قال السخاوي: لم أقف عليه.

وقال الملا القاري: موضوع.

وقال الحوت البيروتي الشافعي: حديث موضوع.

وقال الغزي العامري: ليس بحديث.

(١) الروض الأنف للسهيلي ١/ ٤١١و٤١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٩٧ ، وفتح الباري ١٢\٣١٦.

وقال الشيخ الألباني في "الضعيفة": موضوع، كما قال السخاوي.

قال الألباني رحمة الله تعالى عليه: (موضوع كما قال، ومعناه غير مستقيم إذ أن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان لا يمدح بحبه ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم) انتهى كلامه رحمه الله، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ومثله (حب الوطن من الإيمان) وهو مشهور عند العامة على أنه حديث صحيح، وهو حديث موضوع مكذوب، بل المعنى أيضًا غير صحيح بل حب الوطن من التعصب.

وقال الشيخ ملا علي القاري: ولا يخفى أن معنى الحديث حب الوطن من علامة الإيمان، وهي لا تكون إلا إذا كان الحب مختصا بالمؤمن فإذا وجد فيه وفي غيره لا يصلح أن يكون علامة قبوله. ثم قال: ومعناه صحيح، نظرا إلى قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا﴾ فصحت معارضته بقوله تعالى ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا﴾ ثم قال: الأظهر في معنى الحديث إن صح مبناه أن يحمل على أن المراد بالوطن الجنة فإنها المسكن الأول لأبينا آدم على خلاف فيه أنه خلق فيه أو دخل بعدما تكمل وأتم، أو المراد به مكة فإنها أم القرى وقبلة العالم، أو الرجوع إلى الله تعالى على طريقة الصوفيين فإنه المبدأ والمعاد كما يشير إليه قوله تعالى:) وأن إلى ربك المنتهى (. أو المراد به الوطن المتعارف لكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة أرحامه وإحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه ثم التحقيق أنه لا يلزم من كون

الشيء علامة له اختصاصه به مطلقا بل يكفي غالبا ألا ترى إلى حديث " حسن العهد من الإيمان " و" حب العرب من الإيمان " مع أنهما يوجدان في أهل الكفران(١).

وقال الدكتور عجيل جاسم النشمي: ويحتمل أن المعنى صحيح بمعنى الإيمان بلوازم الوطن أي بما لا ينفصل عنه فحبه من حبه بالنسبة للمؤمنين، فهو موضع دفعاه عن ماله ودمه ودينه وأهله، حتى اعتبر من مات دون ذلك شهيد كما ورد في الحديث: " من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد "(٢).

ومعناه صحيح، وقال المنوفي: ما أدعاه من صحة معناه عجيب إذ لا ملازمة بين حب الوطن وبين الإيمان، ويرده قوله تعالى ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ فإنه دل على حبهم وطنهم مع عدم تلبسهم بالإيمان إذ ضمير عليهم للمنافقين، وتعقبه بعضهم بأنه ليس في كلامه أنه لا يحب الوطن إلا مؤمن وإنما فيه أن حب الوطن لا ينافي الإيمان.

❊ ❊ ❊

(١) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ١٨١-١٨٢، للعلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري ، الوفاة: ١٠١٤ هـ ، دار النشر : دار الأمانة / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م ، تحقيق : محمد الصباغ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٢٩٥ .

الفصل الثاني:
تعريف المواطنة والوطنية ومفهومها في الفكر السياسي الإسلامي

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوطن والمواطنة والوطنية.

المبحث الثاني: مفهوم المواطنة والفكر السياسي الإسلامي.

المبحث الثالث: ظهور مصطلح الوطنية.

المبحث الرابع: إشكاليات مفهوم الوطنية عند الرافضين لها.

المبحث الخامس: التطبيقات العملية على المواطنة من عهد الرسول ﷺ وحتى عصرنا الحاضر.

المبحث السادس: كيف يكون حب الوطن وواجبنا نحوه.

المبحث الأول: تعريف الوطن والمواطنة والوطنية

الوطن في الاصطلاح

عرفه الجرجاني بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه[١].

وقال جميل صليبا: الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد فيه الإنسان أو نشأ فيه[٢].

وقال احمد زكي بودي: الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها وانتمائه إليها[٣].

الوطن في الاصطلاح السياسي

أما في الاصطلاح السياسي المعاصر فيقصد بالوطن " الجهة التي يقيم فيها الشخص دائمًا أو التي له بها مصلحة أو فيها مقر عائلته ".

الوطن في المفهوم الإسلامي

هو السقف الذي يجمع المسلمين وغير المسلمين، الحاملين لجنسية الدولة الإسلامية – أهل الذمة – في لحمة تفرض عليهم جملة من الحقوق والواجبات، وفي كنف شريعة تؤمن بالتنوع الإيديولوجي والفكري، وقائم على أسس أخلاقية تُجمع عليها سائر الأديان.

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٣ .

(٢) المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليا ص ٥٨٠ .

(٣) المصطلحات السياسية الدولية للدكتور احمد زكي بودي ص ١٣ .

تعريف المواطنة

والمواطنة- المواطنية: هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى الوطن.

فالمواطنة اسم جامع لأبناء المجتمع الإسلامي مسلمين كانوا أم غير مسلمين. فالجميع (أهل وطن)، تجمعهم (أخوة وطنية) على اعتبار أنهم جميعًا(أهل دار الإسلام)، وإن اختلفت مللهم.

والمواطنة بصفتها مصطلحًا معاصرًا تعريب للفظة (Citizenship) التي تعني كما تقول دائرة المعارف البريطانية (علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق – متبادلة – في تلك الدولة، متضمنة هذه المواطنة مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات).

وقال الدكتور عجيل النشمي: أما مفهوم الوطن فيشير إلى الجانب السلوكي الظاهر في الممارسات الحية التي تعكس حقوق الفرد وواجباته مجتمعة ووطنه والتزامه بمبادئ المجتمع وقيمه وقوانينه والمشاركة الفعالة في الأنشطة والأعمال التي تستهدف رقي الوطن والمحافظة على مكتسباته(١).

مفهوم الوطنية:

الوطنية مشاعر وجدانية وأحاسيس عاطفية تتفاعل داخل قلب الإنسان لتثمر انتماء فريدًا يرقى بصاحبه إلى شرف التضحية بالمال والدم والروح

(١) التأصيل الشرعي للمواطنة للدكتور عجيل النشمي ، نشرته صحيفة حدث الالكترونية .

ممزوجة بلذة وإقدام ولكون الوطنية مشاعر وجدانية حاول الكثير تفسيرها من خلال الثمرة التي تنتجها هذه الأحاسيس.

وقال الدكتور عجيل جاسم النشمي: الوطنية تشير إلى شعور الفرد بحبه لمجتمعه ووطنه، واعتزازه بالانتماء إليه، واستعداده للتضحية من أجله، فالوطنية شعور قلبي ووجداني يترجم في المحبة والولاء والميل والاتجاه الايجابي والدافعية الذاتية للعمل الخلاق الذي يستهدف رفعة الوطن(١).

* * *

(١) التأصيل الشرعي للمواطنة للدكتور عجيل النشمي نشرته صحيفة حدث الإلكترونية على موقعها .

المبحث الثاني: مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الإسلامي.

مفهوم المواطنة والفكر السياسي الإسلامي.

د.صبري محمد خليل/ أستاذ الفلسفة بجامعه الخرطوم: يعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم السياسية المعاصرة الهامة،و هناك بعض ممن ينتمون إلى تيارات فكريه مختلفة إلى حد التناقض (التيار التغريبي- التيار التقليدى...) يعتقدون أن الإسلام ينكر مفهوم المواطنة أو يحرم غير المسلمين من حق المواطنة في حاله إقراره به، لأنه يستند إلى مفهوم الأمة (الدينيه) ويلغى مفهوم الأمة (التكوينيه:الاجتماعية- السياسية).ويدعو إلى وحدة(دينية) مطلقة.

غير أن هذا الرأي غير صحيح من كل أوجهه.

فالإسلام أولا يميز (ولا يفصل) بين نوعين من أنواع الأمم طبقا لمضمون تمييزها عن غيرها:أمه التكليف: التي تتميز عن غيرها بالمضمون العقدي ﴿أن هذه أمتكم أمه واحده وأنا ربكم فاعبدون﴾ الأنبياء٩٢. وأمه التكوين: التي تتميز عن غيرها بالمضمون الاجتماعي﴿وقطعناهم اثنتي عشره أسباطا أمما﴾الأعراف١٥٩، وعلى هذا يمكن استخدامها للدلالة على الأسرة والعشيرة والقبيلة والشعب ونستخدمها للدلالة على الشعب المعين الذي يتميز عن غيره بالأرض والتاريخ والحضارة. وجعل العلاقة بينهما علاقة تكامل لا تناقض وإلغاء، فالأولى تحدد الثانية فتكملها وتغنيها ولكن لا تلغيها. فالإسلام لا يلغى الوطنية يما هي علاقة انتماء إلى وطن أو القومية بما هي علاقة انتماء إلى أمه بل يحددهما فيكملهما ويغنيهما.

وطبقا لهذا فان الإسلام يقرر أن انتماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية لا يلغى انتمائهم إلى أممهم.

كما أن الإسلام ثانيا يقوم على الجمع بين الوحدة والتعدد على المستويين التكليفى والتكويني استنادا إلي مفهوم الوسطية.

وطبقا لهذا اقر بالتعددية على المستوى التكويني بإقراره التعدد كسنه إلهيه ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ المائدة٤٨، كما اقر بالتعددية على المستوى التكليفى بإقراره تعدد الشرائع.

وطبقا لهذا فان الإسلام اقر تعدد الانتماء الديني في الأمة الواحدة دون أن يمس هذا التعدد وحده الأمة لذا نجد في القران عشرات الآيات التي تنظم العلاقة بين المنتمين إلي أديان متعددة في أمه واحده،فهو يدعو أهل الكتاب إلي ما هو مشترك في الأديان السماوية لا التخلي عن دينهم والانتماء إليه فهو يدعوهم معه لا يدعوهم إليه ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمه سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا﴾آل عمران٦٤، وفى هذه الحياة المشتركة يكون الحوار حول أيهم اصح عقيدة دون أن يمس أو يهدد الحوار هذه الحياة المشتركة ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾العنكبوت٤٦.

وعلى المستوى التطبيقي نجد انه في المدينة المنورة وفي ظل الصحيفة تكون "شعب" تتعدد فيه علاقات الانتماء إلى الدين(المسلمين أمه واليهود أمه) ولكن يتوحد الناس فيه مع اختلاف الدين في علاقة انتماء إلى ارض مشتركه، أي علاقة انتماء إلى وطن.

وهناك الكثير من القضايا التي طرحها الفكر الإسلامي تتعلق بحق المواطنة لغير المسلمين في الدولة الإسلامية منها:إسناد الأعمال لغير المسلم،والأخذ برأيه في الشورى،والحرية الدينية لغير المسلم، ومفهوم أهل الذمة، والتمييز بين الذميين والمسلمين،والجزية، لذا وجب تناولها لان هناك من يتخذ من بعض الاجتهادات المتعلقة بالقضايا السابقة الذكر، والتي قدمها بعض الفقهاء، في ظروف زمانية ومكانيه معينه، كدليل على أن الإسلام يحرم غير المسلمين من حق المواطنة.

ففيما يتعلق بإسناد الأعمال لغير المسلم فإننا نجد أن هناك من يرى المنع المطلق كأغلب المالكية والإمام احمد، لكن هناك من يرى الجواز المطلق كابي حنيفة وبعض المالكية، أو الجواز أحيانا والمنع أحيانا وهو رأى اغلب العلماء حيث يرى ابن العربي (إن كانت في ذلك فائدة محققه فلا باس به)[١]. كما جوز الماوردي وأبو يعلى لغير المسلم أن يتولى وزاره التنفيذ دون ولاية التفويض.وتاريخيا استعان بهم الخلفاء.والذي نراه وجوب التمييز بين غير المسلم المواطن وغير المسلم الأجنبي، فالأول يحق له إسناد الأعمال له مادام شرط الكفاءة متوفر له، لأنه جزء من حق المواطنة أما الثاني فيتوقف على مصلحه الدولة.

أما فيما يتعلق بالشورى فانه يحق لغير المسلم الأخذ برأيه في الشورى لان مجال الشورى هو الفروع لا الأصول، يقول ابن كثير في تفسير الآية ﴿فاسألوا

(١) أحكام القران لابن العربي .

أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ الانبياء٧، (اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف)[١].

أما فيما يتعلق بالحرية الدينية فقد قرر الإسلام الحرية الدينية ممثله في حرية الاعتقاد وحرية ممارسه الشعائر والأحوال الشخصية، بشرط الخضوع لقواعد النظام العام الإسلامي ﴿لا إكراه في الدين﴾ البقرة٢٥٦.

أما عن مفهوم أهل الذمة فان الذمة لغة العهد والكفالة والضمان والأمان[٢] أما اصطلاحا (التزام تقرير الكفار في ديارنا وحمايتهم والذب عنهم ببذل الجزية والاستسلام من جهتهم)[٣] فهو تقرير حقوق المواطنة لغير المسلم في الدولة الإسلامية (اليهود أمه مع المؤمنين) مع احتفاظه بحريته الدينية على المستوى الدستوري(في ذمه الله ورسوله) ضمانا لعدم إهدارها بواسطة الأغلبية المسلمة مادام قائما بواجباتها.

أما التمييز بين الذميين والمسلمين فلم يقل به احد من المتقدمين،وقال به بن تيميه وابن القيم في مرحله تاريخية لاحقه، لوقوف بعض الذميين مع التتار ضد المسلمين من باب الاحتراس،فهو ليس قاعدة بل حكم تاريخي مربوط بظروف معينه[٤].

أما الجزية فهي حكم من أحكام الحرب كبدل للإعفاء من الجندية ورد في

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٥.

(٢) القاموس المحيط، للفيروز ابادى ٤/ ١١٥

(٣) أبو زهره المجتمع الانسانى، ص ١٩٤

(٤) عبد العزيز كامل، معامله غير المسلمين ج١، ص١٩٩.

الصلح مع نصارى نجران(ليس على أهل الذمة مباشره قتال وإنما أعطوا الذمة على أن لا يكلفوا ذلك) لذا لا تؤخذ في حاله أداء الخدمة العسكرية كما في الدولة الحديثة إلي هذا ذهب رشيد رضا ووهبه الزحيلى[1] وعبد الكريم زيدان[2] وهناك سوابق تاريخية تؤيد ذلك ففي صلح حبيب بن مسلم للجراحجه (أنهم طلبوا الأمان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وان لا يؤخذوا بالجزية)[3] ومع أهل ارمينه(أن ينفروا لكل غاره... على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلي ذلك)[4].

وبذلك فإن الوطن في الإسلام يجمع أجناسًا كما يجمع ألوانًا من الناس، ويجمع في حماه أيضًا أديانًا ومللًا وشعوبًا، بدليل الآية الكريمة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات١٣١. وبدليل الحديث الشريف: " لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى " فهو وطن العدل والمساواة واللا عنصرية، وطن البيئة الإنسانية بكل ما لها من حقوق إنسانية بغض النظر عن الجنس واللون والملة، ففي الوطن الإسلامي تتلاحم الأواصر، ويتساوى الجميع، يقول تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء﴾ النساء١، فالثقافة الإسلامية تذيب الحواجز الجغرافية، كما

(١) أثار الحرب،ص٦٩٨.

(٢) الفرد والدولة،ص٩٨.

(٣) البلاذردى، فتوح البلدان،ج١/ ص٢١٧.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم، ج ٥،ص ٢٥٧.

تذيب التباينات والقوميات، لأن الوطن في الإسلام هو الوطن الواحد الكبير، فكانت حروب الفتح، حروب توسع لإتاحة المجال أمام الشعوب للاختيار العقائدي بعدالة، بعيدًا عن أي قمع.. وهو عكس الواقع الاستعماري الغربي الذي يركز عل مشاعر القومية المتحيزة، والتمييز العنصري المغرق، والرغبة الجامحة بالهيمنة العسكرية والاستغلال الاقتصادي إلى أقصى مداه، والحروب الحديثة كلها نشأت من هذا التصور، وقامت على هذا الأساس، استغلال أمم لصالح أمم باحتلال رقعتها الخاصة من الأرض بما فيها وما عليها.

الإسلام لا يعرف الحدود الإقليمية ولا حدود الأجناس والألوان، فالأرض للجميع، ومن حق الجميع أن يستمتع بكافة خيراتها، كما من حق البلد القليل الموارد أن يستفيد من البلد الثري في سد احتياجاته.

والجنس البشري مستخلف في الأرض لعمارتها وإنمائها واستغلال خيراتها بالتعاون والتراحم والتكافل، دون تخصيص جنس على جنس.

والإسلام –بإزالة الحدود– لا يلغي فكرة الوطن القومي لأنه يعترف بالأجناس كلها، كما يؤمن بحاجاتهم وخصوصياتهم، ولكنه يفعّل التآخي والتآزر ومعنى الهدف المشترك الذي تلتقي عليه الشعوب.. فالإسلام يجعل الوطن فكرة متشكلة في العقل والوجدان، لا مجرد رقعة من الأرض، ويجعل الانتماء للأمة الكبيرة وليس للإقليمية لقول النبي ﷺ: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا " ولقوله أيضًا: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ".

والإسلام هنا يكرّس العقل والقناعة، فهو دين الحضارة والعدالة، والإيمان بمبادئه كمعتقد يحتكم إلى الطوعية فلا إكراه في الدين، ولأتباعه حرية مزاولة العقيدة، ومن حقهم أن تتاح لهم أجواء الحرية لكفالة عدم الفتنة عن الدين، وأن لا يضاروا في مصالحهم المادية والمعنوية، وأن تتاح لهم القوة اللازمة لحمايتهم، وتحقيق شريعة الله في حياتهم، ولابد للقانون من قوة تكفل احترامه، وتحقق نظامه، والقوة تتأتى من رابطة الإسلام التي تجمع القوميات في بوتقة واحدة، لقوله تعالى ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ المجادلة٢٢.

فالأمة المسلمة تتحمل دور الدعوة إلى الله، ودور حماية العبادة والمعتقد للناس جميعًا، وحماية الضعفاء من عسف الأقوياء، ودفع الظلم، وكفالة العدالة الاجتماعية، وتحقيق معنى الرحمة العامة.

* * *

المبحث الثالث: ظهور مصطلح الوطنية .

ظهور مصطلح الوطنية.

الوطنية كلمة إغريقية يونانية Citizenship وأول من استخدمها الغرب عندما أطلق حملة معادية للكنيسة وتسلط رجال الدين فاطلق هذا المصطلح ليكون شعارًا جامعًا لأبناء الوطن بديلًا عن الدين وتسلط رجال الكنيسة وذلك على إثر الصراع الدامي الذي دار لعقود من الزمن واستهلك الكثير من الدماء والثروات، من هنا تنادى المفكرون إلى ضرورة وضع أسس جديدة تربط ببين الناس لا على أساس الدين والمذاهب الدينية التي أدت إلى سفك الدماء وإنما على الولاء للوطن، أي إن تحويل الولاء من الكنيسة ورجالاتها وأيضا من رجال الإقطاع إلى الحاكم الوطني كان من أبرز التحولات الفكرية السياسية التي عصفت بالمجتمع الأوروبي والتي توجت بتكريس مفهوم (فصل الدين عن الحياة) وهو أساس الفكر العلماني والعقيدة العلمانية التي تقوم على إنكار دور الدين والخالق في تصريف شؤون المجتمع وان كانوا تساهلوا بعض الشيء بحيث سمحوا للأفراد بالتدين ولكن على أن يتدخل هذا التدين بالشؤون العامة.

والوطنية بمفهومها الغربي الحديث تعني أن الولاء للوطن مقدم على أي ولاء سواه، والولاء للوطن يعني الولاء لبقعته الجغرافية ولجماعته من الناس ولدولته ولشاراته (العَلَم – النشيد الوطني... إلخ) وتمثلات هذا الولاء هي المواطنة من قبل المواطن لوطنه.

وعلى كل فإن الوطنية – هنا ليست مجرد ذلك النزوع الشعوري ولكنها نزعة

فكرية (مذهبية) لها مبادئها العامة وطقوسها السلوكية التي يزرعها رواد هذه النزعة في نفوس الناس وينشئون عليها ناشئتهم، ويحاكمون إليها مواقف أتباعهم، وينظرون إلى الآخرين من خلالها، الوطنية بهذه الصفة ليست حديثة، فقد وجدت في المجتمعات القديمة ومن أشهر صورها الوطنية اليونانية، ثم وطنية الإمبراطورية الرومانية التي كانت تنظر للشعوب الأخرى المنضوية تحت ظل الدولة الرومانية بصفتهم عبيدًا تابعين للوطن الأم، لا يقبل من هؤلاء الأتباع الانصهار في بوتقته والاندماج به كما حصل مثلًا الاندماج في الحضارة الإسلامية، ولقد تجلت النزعة الوطنية متماهية مع القومية في أوربا الحديثة نتيجة التفلت من الإمبراطوية الجامعة التي كان رباطها الجامع بين الأوربيين هو المسيحية التي دخلت إليها في القرن الثاني الميلادي.

هذا التفلت بدأ بالملوك ثم برجال الدين فيما عرف بالحركات الإصلاحية حيث تقسمت القارة الأوربية كما يقول الندوي (إلى إمارات شعبية مختلفة وأصبحت منازعاتها ومنافستها خطرًا خالدًا على أمن العالم)(١).

هذه (الوطنيات القومية، أو القوميات الوطنية) سعت – كل منها – من أجل تقوية نفسها وشحن شعور الأتباع بروح التضحية لها إلى تعميق الروح الوطنية بإحلالها بصفتها دينًا له قداسته محل المشاعر الدينية المسيحية، حتى أصبح الدين والوطنية كفتي ميزان كلما رجحت واحدة طاشت الأخرى. وقد ظلت العصبية الوطنية – كما يقول (إدوراد لوتين) – " تقوى وفي المقابل تخف كفة

(١) ماذا فسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢١٢ .

الدين كل يوم"(١) ووضعت الوطنيات على مرور الزمن مراسم لتحقيق ذلك تضاهي المراسم الدينية.

هذه الوطنية هي الرحم الذي أنجب المواطنة التي تمثلت في علاقة الحاكم (الملك) بالسكان من حيث تبادل الحقوق والواجبات بناءً على الرابطة الوطنية بعيدًا عن الدين.

وبناء على هذه النظرية العلمانية قام المفكرون والفلاسفة من أمثال روسو وجون لوك وفولتير ومونتسيكيو بوضع أسس نظرية "العقد الاجتماعي" وهو عبارة عن عقد بين الحاكم والمحكومين بحيث يكون للمواطن حقوق قانونية دستورية على الحاكم أن يحترمها، ومن هنا جاءت نظرية الحقوق الغربية ومن ثم حقوق المواطن و..الخ.

ويرى الأستاذ علي خليفة الكواري أن ثلاثة تحولات كبرى متكاملة حدثت في أوربا هي التي أرست مبادئ المواطنة في الدولة القومية الديمقراطية المعاصرة:

* بروز الدولة القومية نتيجة صراع الملوك مع الكنيسة الذي انتهى بتبعية كل رعية لملكهم ومذهبه الذي اتبعه في إطار المجتمع الذي تقوم فيه دولته بقوميتها وتاريخها وثقافتها المتميزة.

* المشاركة السياسية التي كانت نتيجة الحاجة المتبادلة بين الدولة وشعبها وما نتج عنها من الاعتراف بحقوق متبادلة وتشارك في العمل السياسي والإشراف على حركته – كما سبق.

(١) المصدر نفسه ص٢١٢ .

* حكم القانون: حيث انتشرت في الدولة القومية التي تشكلت صياغة القوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية واستمر إصدار هذه القوانين تلبية لحاجات تلك المجتمعات وانتقل إصدار هذه القوانين بعد ذلك إما تدريجيًا – كما في بريطانيا – أو ثوريًا كما في فرنسا وأمريكا إلى الشعب الذي أصبح مصدر السلطات والتشريع حيث مثل ذلك قمة (المواطنة).

وفي العالم العربي ظهر أول ما ظهر مصطلح القومية العربية وكان المراد منه أن يكون بديلًا للخلافة العثمانية فظهر مصطلح العروبة مقابل مصطلح الخلافة وأن العرب مع بعضهم يكونون قومية لها مصالحها الخاصة بعيدًا عن المصالح الإسلامية العامة فظهرت جامعة الدول العربية وهي لا تضم في ثناياها إلا الدول العربية أما الدول الإسلامية الأخرى فليس لها أي علاقة بالقومية العربية واستمرت هذه القومية فترة من الزمن ذاق الناس إيجابياتها وسلبياتها ومن أهم سلبياتها أنها فصلت المسلم العربي عن أخيه المسلم غير العربي فلم يعد المسلم العربي يهتم بشؤون أخيه المسلم غير العربي فلا يفرح لفرحه ولا يحزن لحزنه ولا يواسيه أو يعينه أو ينصره إذا احتاج إلى مواساة ومعاونة ونصرة لأن القومية التي كانت تجمع الناس وقتها هي القومية العربية فقط ولا غير، ثم لما ذبلت هذه الرابطة القومية وضعفت بين الشعوب أخذ العدو يبحث عن مصطلح آخر يجمع الناس وللأسف فقد استطاع العدو أن يجمع الناس على مصطلح ضيق بعد تقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة وفق معاهدة فجمعها على مصطلح الوطن والوطنية والمواطنة فأصبح المسلم العربي لا يهتم إلا بحدود وطنه بعد

أن كان يهتم لقوميته العربية وأصبحت الشعارات: مصر للمصريين، والأردن أولًا.

ويرى الدكتور محمد حسين رحمه الله، في كتابه "الإسلام والحضارة الغربية"، أن أول ما وردت لفظة "الوطن" إنما جاء من خلال الأزهري المتفرنس رفاعة الطهطاوي الذي أُشرب حب فرنسا والحضارة الفرنسية حينما أقام فيها في ١٨٢٦ إلى ١٨٣٢ فلما عاد إلى مصر عاد يصدح بالحضارة الفرنسية وجمالها وصار يدندن حول الوطنية ولعله بدأ بداية خجولة إلا انه في الواقع طرح بذرة الفكرة التي جاء غيره من المطبوعين بحضارة الغرب ليكملوا سقيها ورعايتها ومن هؤلاء بعض نصارى الشام الذين رأوا خلاصهم من حكم الإسلام بالعمل على نشر فكرة القومية والوطنية(١)، يقول الدكتور محمد عمارة: لقد كان الناس في مصر يفكرون تفكيرًا إسلاميًا يعرف الملة ولا يعرف الوطن ولا القومية فسلكت الأفكار الوطنية أو القومية التي ألقى الفرنسيون بذورها في تربة مصر إلى عقول الناس.

والوطنية يعرضها أصحابها رابطة تجمع الناس في وطن معين. أما ما هو هذا الوطن؟ فواقع الذين يدعون إلى الوطنية أنهم يعدون الوطن هو ذلك الكيان السياسي الذي تقوم فوقه دولة ذات حدود مرسومة على الخريطة بغض النظر عمن رسم تلك الحدود. فيتكلمون عن الوطنية اللبنانية الذي أسسه غورو سنة ١٩٢٠ والوطنية العراقية والوطنية المصرية والوطنية السورية والليبية وهكذا بناء

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين .

على معاهدة.

ففكرة الوطنية في نظر البعض هي جزء لا يتجزأ من المؤامرات الغربية لتكريس تجزئة بلاد المسلمين إلى أردن وفلسطين وسوريا ومصر وليبيا... الخ، وقد تجلت هذه الفكرة بشكل خطير في الشعارات التي تراها في كل زاوية: الأردن أولا، مصر للمصريين، القضية الفلسطينية شأن فلسطيني، وهكذا كرست الوطنية تفتيت الأمة الإسلامية وجعلت أهل كل بلد غير معنيين بما يجري في البلد المسلم المجاور لهم، فحمامات الدم تراق في أرض بيت المقدس، ولا يتحرك عرق في جيش مصر أو الأردن أو سوريا أو تركيا لأنها ليست "وطنه".

كما أنها كرست تفتيت الأمة إلى دويلات ثم إن الوطنية كرست الاعتراف بالاستقلال، أي استقلال البلاد الإسلامية بعضها عن بعض وتجزئتها، فتفرقت الأمة التي أمر الله أن تكون واحدة بفعل الوطنية إلى أمم فضعفت الأمة أمام أعدائها فكانت الوطنية سهما بغيضا مكَّن للكافر المستعمر احتلال البلاد ومص دمائها وخيراتها.

وبذلك تصبح "الوطنية" هي الرابطة التي تجمع الناس الذين يعيشون داخل حدود دولة من هذه الدول، وتفصلهم عن سائر الناس الذين هم خارج تلك الحدود. وبذلك يصبح اللبناني مرتبطا فقط باللبناني ويصبح المصري مرتبطا فقط بالمصري، حتى تنقسم الأمة وتتعدد همومها، ولا تعمل سويا في سبيل قضية واحدة هي قضية الأمة، فما يهم الجزائري لا يهم التونسي... وهكذا. ومن أجل تكريس ذلك المفهوم، بثت بين الناس شعارات مضللة خبيثة مثل "الدين لله

والوطن للجميع" ومثل نحن ننتمي إلى الوطن قبل أن ننتمي إلى الدين" وغيرهما من الشعارات التي تتعارض مع الاسلام من حيث الأساس.

ولكن الخطر الداهم أن كثيرًا من دعاة الوطنية اتخذوه صنمًا يعبد من دون الله، وتخلوا على مبادئهم الإسلامية باسم الوطنية ﴿ومن الناس من يتخذ من دول الله أندادًا يحبونهم كحب الله﴾ البقرة: ١٦٥.

ولنقرأ مقاطع من مقالة كتبها أحد أولئك حيث قال: (ليس أغلى على الإنسان أو غيره من الوطن، من الأرض، من التراب الذي يخصه، وعلاقة الإنسان وغير الإنسان بأرضه علاقة تختلف عن كل علاقة، فهي أصلب، وهي أشد)... ثم يمضي الكاتب في غلوه، فيقول: (ليس ثمة ما هو أرقى من العلاقة بين المخلوق وتربته وأرضه ووطنه).

ولم يكتف بذلك، بل إن كل شيء يذهب ويتلاشى، إلا حب الأرض، حب الوطن، هو الذي يستمر مشتعلًا في الذات دائمًا أبدًا، كالوشم الذي لا يتغير).

فأين هذه الوطنية المغالية من قوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(١).

بل إن الإسلام اعتبر الوطنية بهذا المفهوم من الدعاوى الجاهلية النتنة، من ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه، حيث قال: (كنا في غزاة فكسع -وهو ضرب دبر غيره بيده أو رجله- رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا

---

(١) صحيح البخاري ١٠/ ٣٦٧، صحيح مسلم الحديث رقم ٢٥٨٦ .

للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها رسول الله ﷺ قال: "ما هذا " فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: "دعوها فإنها منتنة"، قال جابر وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي أو قد فعلوا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ: " دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " رواه البخاري(١).

فاعتبر عليه السلام الانحياز والتفرق على أساس أن أصل هذا من المدينة فهو أنصاري وذاك من مكة فهو مهاجري، وهذا ينصر قومه على هذا، اعتبر هذه الدعاوى نتنة وأمر بتركها، وقال في رواية: " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم".

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وغضب لذلك غضبا شديدا) انتهى.

وفي سنن أبي داود، عن النبي ﷺ أنه قال: ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية(٢)

(١) صحيح البخاري ١٦/ ٢٦١ حديث رقم ٤٩٠٥ .

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٧٥٣ رقم الحديث ٥٨٢١ .

ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الترمذي وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)(١).

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري، أن النبي ﷺ قال: إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فذكرها، ثم قال النبي ﷺ: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم" قيل يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ قال: "وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله"(٢)

* * *

(١) سنن أبي داود ٢/ ٧٥٢ رقم الحديث ٥١١٦ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود .
(٢) المستدرك للحاكم ١/ ٣٩١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، رواه احمد ورجاله ثقات رجال الصحيح خلا علي بن اسحاق السلمي وهو ثقة ٥/ ٢٦١ .

المبحث الرابع: إشكاليات مفهوم الوطنية عند الرافضين لها .

إشكاليات مفهوم الوطنية عند الرافضين لها.

١. إنها مفهوم غربي علماني قام على أساس فصل الدين عن الدولة بناء على الموقف الخاطئ من رجال الكنيسة الذين وقفوا ضد العلوم الطبيعية وتسلطوا على العلماء فسجنوهم وقتلوهم فقام هؤلاء بإعلان الحرب على سلطة الكنيسة ورجال الدين فبدؤوا بالقوميات والعرقيات ثم بالوطنية وقامت الحروب في أوروبا من أجل هذا الفصل بين الدين والسياسة وأن ما لله لله وما للوطن للوطن والدين لله والوطن للجميع ولا يمكن أن تقوم الدولة إلا على أساس علماني وإن أباحوا التدين الشخصي للمواطنين لكن أساس قيام الدولة هو العلمنة لا الدين ولكن إذا وصل الدين إلى حد أن يكون ظاهرة فإنه يمنع حتى التدين كما يحصل الآن في أوروبا من منع النقاب والحجاب لدى المتدينين من المسلمين أوروبيين كانوا أم مهاجرين إلى أوروبا.

٢. حدة مواقف القوميين ودعاة الوطنية الضيقة الذين تحولت عندهم الوطنية إلى عصبية منافرة للإسلام وجعل الولاء للوطن دون الدين عند من يدعون إلى الوطنية فالولاء عندهم للوطن لا لغيره ولو تعارض الولاء للوطن مع الولاء للدين فإن الولاء للوطن يقدم على الولاء للدين وهذا في نظري من أهم أسباب النظرة التخوفية من المواطنة.

يقول أحدهم: ولذا لا مانع عند بعضهم أن ينصر الوطني أخاه في الوطن ولو كان كافرًا على أخيه المسلم غير الوطني إذا تعارضت مصلحة الوطن مع

مصلحة الدين، وأيضًا نجد الكثير ممن يدعون إلى الوطنية لا يهتمون بأمور المسلمين في غير أوطانهم يقولون مالنا ولهم صحيح أن المسلم لا يرضى بالظلم أن يقع على المسلم أو على غيره وهو مطالب بنصرة المظلوم بغض النظر عن ديانته: " انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا " قيل يا رسول الله: انصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا، قال: " تمنعه من الظلم "(١) وقال رسول الله ﷺ عن حلف الفضول الذي تداعت فيه قريش لنصرة المظلوم سواء كان من قريش أو من غيرها: " لقد دعيت في الجاهلية إلى حلف لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت"(٢) لكن أن يصل الأمر إلى حد أنه لو اعتدى وطني كافر على مسلم غير وطني يكون ولائي للوطني على غيره كما كان العرب في جاهليتهم حتى قال قائلهم وهو دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

فهنا الإشكالية عند رافضي الوطنية أو أن يقتصر اهتمامي على أبناء وطني دون غيرهم من المسلمين في أقطار العالم فهنا إشكالية أخرى هذه هي مواطن الإشكالية ولو ابتعد عنها من يدعون إلى الوطنية لكان هناك تقارب أكبر وتفاهم أشمل بين الوطنيين وغيرهم.

والأمر في نظري يسير بإذن الله فالاسلام لا يمنع المسلم أن يهتم بأبناء وطنه الذين ينتمون إلى بلد واحد وكما يقال: والأقربون أولى بالمعروف، وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، بغض النظر عن انتماءات وديانات أبناء الوطن

(١) صحيح البخاري وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٩٤ .

(٢) تهذيب سنن أبي داود وتوضيح مشكلاته لابن القيم ٢/ ٧٧ .

الواحد، فهذا الرسول الكريم يعايش اليهود في المدينة ويعقد بينه وبينهم عقد شراكة ومعايشة وكان يتعامل مع اليهود بيعًا وشراء وسلفًا وكان جاره يهودي فكان يهديه بل وكان ينتصر لهم إذا ظلموا ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، وهذا عمر لما بلغه أن ابنا لعمرو بن العاص ضرب قبطيًا، نادى عمروا وابنه ثم قال للقبطي اضرب ابن الأكرمين كما ضربك، ثم قال لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]، وهذا قاضي المسلمين يطلب من الجيش الإسلامي أن يخرج من مدينة سمرقند لأنه دخلها غدرًا ويستجيب قائد الجيوش الإسلامية ويخرج من المدينة فلا يملك أهلها إلا أن يعلنوا إسلامهم[2]، إن الإسلام في نظري لا يمنع من ذلك لكن في نفس الوقت لا يرضى للمسلم أن يتولى الكافرين دون المسلمين ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا﴾ النساء:١٤٤.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ المائدة:٥١.

والموالاة معناها النصرة والتأييد فلا يحل لمسلم أن ينصر وطنيا كافرًا خان العهد وغدر على مسلم وطني كان أو غيره وهذا يتبين بجلاء من موقفين وقفهما

(١) فتوح مصر لابن عبدالحكم ص٢٩٠ .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص٤١١ .

مؤمن صادق ومنافق من مواليهم الذين نقضوا العهد والميثاق وغدروا في عهد رسول الله.

الموقف الأول لزعيم المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول مع مواليه من يهود بني النظير حين غدروا العهد وأراد رسول الله ﷺ قتلهم فجاء عبد الله بن أبي بن سلول الذي يميل إليهم ويعتبرهم قومه وخاصته. جاء إلى الرسول ﷺ قائلا له: يا محمد أحسن موالي (أي أصحابه). ولما أبطأ الرسول ﷺ عليه بالجواب ادخل يده في جيب درع الرسول ﷺ، وتمادى في طلبه، واثقل على رسول الله ﷺ حتى أغضبه، وقال له: اتركني، ولكن عدو الله قال له: أتقتل أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني وحموني من الأحمر والأسود أي العجم والعرب وتحصدهم في غداة واحدة. فلما ضاق به الرسول ﷺ نهره قائلا: " هم لك، خذهم لا بارك الله فيهم "(١).

وفي ذلك يقول الله ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ المائدة: ٥٢.

الموقف الثاني لسعد بن معاذ مع مواليه من يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد يوم الخندق وتوجه رسول الله ﷺ لقتالهم وحاصرهم فقالوا: يا محمد نرضى بحكم سعد ولا نرضى بغيره، ظنا منهم أن سيفعل معهم كما فعل عبدالله بن أبي بن سلول مع مواليه من يهود بن النظير، وجيء بسعد محمولًا على حمار وقال النبي ﷺ: " إن هؤلاء رضوا بحكمك " فقال: أرى أن تقتل منهم المقاتلين

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٩٥ .

وتسبي الذراري، فقال النبي ﷺ: " لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات "(١).

إن العلاقة بين المسلم وغيره تختلف في حال السلم وحال الحرب ففي السلم نجد الآية العظيمة التي تتحدث عن التعامل مع غير المسلمين ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطون إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ الممتحنة ٨.

ونرى الواقع العملي الذي عاشته الأمة قديما في عهد النبي الكريم ﷺ والخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية والعثمانية وحتى في عصرنا الحديث في واقع تعامل المسلمين مع غير المسلمين في بلدانهم كمصر والشام وكيف نرى أثر ذلك التعامل في الحب الكبير الذي يبديه أبناء الطائفة المسيحية للعرب وما مواقفهم يوم غزة عنا ببعيد.

أما في حال الحرب فإن التوجيه هو ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم﴾ وهذا ما فعله سعد بن معاذ.

ويعلل د. محمد عمارة الارتباط القوي بين المنهج الإسلامي والوطن مما يوجب الدفاع عنه بقوله: (إن إقامة الدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، ولذا يصبح الانتماء الوطني بعدا من أبعاد الانتماء الإسلامي العام... فالوطن ضرورة لإقامة دنيا الإسلام وعمرانه، وضرورة الدين ليكون الوطن إسلاميا وتتحقق إسلامية عمرانه)(٢).

(١) صحيح البخاري ١١/ ١٠٤ حديث رقم ٣٠٤٣ .

(٢) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص (١٩٥،١٩٤).

يقول المودودي بعد دحضه فكرة القومية الوطنية المنابذة للدين: (ولكن لا يوهمنك ما قلنا إلى الآن أن الإسلام قد نفى كل العلاقات المادية والإنسانية بين أبناء النوع البشري وقطعها قطعًا باتًا. كلا، فإنه قد أمر بصلة الرحم وشدد في النهي عن قطعها، وأمر بطاعة الوالدين وبرهما والإحسان إليهما، وأجرى الوراثة بين ذوي الأرحام وفضل ذوي القربى على غيرهم في الصدقات والبذل والإنفاق، وأمر بالذود عن الأهل والمال والبيت، وأمر بقتال الظالم، وقال: من قتل دون ماله وعرضه، فهو شهيد، وأمر بالبر لكل إنسان بدون الاعتبار بدينه، والإحسان إليه وحسن التصرف معه في جميع شؤون الحياة. ولا يمكن أن يستخرج من أي حكم من أحكامه أنه ينهى عن خدمة الوطن وحفظه أو عن مسالمة الجار غير المسلم وبره ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ الممتحنة ٨.

فكل هذا من الاعتبارات الفطرية للعلاقات المادية وقد أباحها الإسلام وحث عليها المسلمين)(١).

يقول أحدهم: (حب الوطن من الإيمان، شعارات علمانية تلقفها كلاب الماسونية وصاروا ينعقون بها من أجل أجر زهيد ومتاع من الدنيا ومناصب خارفات.

إذا فالوطن في الإسلام ليس وطن الأمصار والقوميات، إنه وطن الأمة

(١) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية للمودودي ص ٣٢ .

الإسلامية الواحدة المتحدة روحيًا وعقائديًا.

يختلف مفهوم الوطنية من حيث الأفكار والتوجهات والمذاهب، فالوطنية عند بعضهم تقديس للوطن، بحيث يصير الحب فيه والبغض من أجله، حتى يطغى ذلك على الدين ويقدم عليه، فتحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية، ومنهم من ينطلق في مفهومه للوطنية من كونها فكرًا ومنهجًا يصادم الشريعة ويعارضها، وفي مقابل هذا وجد من الناس من تجاهل حقوق وطنه عليه وتساهل في التزامها والوفاء بها، بل بلغ الحال ببعضهم إلى النفور من مجرد سماع هذه الكلمة، فضلًا عن معرفة حقوقها وواجباتها.فالوطنية في الإسلام: محبة الفرد لوطنه وبلده وقيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام ووفاؤه بها، وتقوية الرابطة بين أبناء الوطن الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، التي يراها الإسلام فريضة لازمة، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ الحجرات: ١٠، وقال النبي ﷺ: " وكونوا عباد الله إخوانا ".

والوطنية التي يرفضها الإسلام، هي وطنية الحزبية التي يراد بها تقسيم الأمة إلى طوائف متناحرة، تتباغض وتتضاغن، وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم، ويَكِيد بعضها لبعض، فلا تنصر مظلومًا ولا تغيث ملهوفًا ولا تعين مكروبًا، ما دام أنه ليس في حدود وطنها، والنبي ﷺ يقول: "مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" متفق عليه.

أساس وطنية المسلمين هي العقيدة الإسلامية، والإسلام قد جعل الشعور

الوطني بالعقيدة لا بالعصبية الجنسية، وقد حدد هدفه العمل للخير من أجل البشر، فالاعتبار للعقيدة أولًا، بينما هي عند غيرهم ترتبط بالحدود الجغرافية.

ولذلك فحدود الوطن- التي تلزم التضحية في سبيل حريته وخيره- لا تقتصر على حدود قطعة الأرض التي يولد عليها المرء، بل إن الوطن يشمل القطر الخاص أولًا، ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، ومن ثم يوفق الإسلام بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة. لأن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص فيها: أن يعمل كل إنسان الخير لبلده، وأن يتفانى في خدمته، وأن يقدم أكثر ما يستطيع من الخير للأمة التي يعيش فيها، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب، رحمًا وجوارًا، حتى إنه لم يُجز أن تُنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر- إلا لضرورة- إيثارًا للأقربين بالمعروف، فكل مسلم عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها، وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية، وأعظمهم نفعًا لمواطنيه؛ لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وأشد الناس حرصًا على خير وطنه، وتفانيًا في خدمة قومه، وهو ينتمي لهذه البلاد العزيزة المباركة، بلاد العزة والمجد والتقدم والرقي للوطن حقوق كثيرة على أهله يجب عليهم التزامها والوفاء بها، كالانتماء إليه والفخر به والتكاتف بين أفراده، والعمل من أجل رفعته وعلو قدره، والمحافظة على مرافقه وموارده، والدفاع عنه والنصح لأهله بما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

علاقة الإسلام بالوطنية قوية ذات أبعاد كثيرة، فحب الإنسان لوطنه معادل

وقرين لحب الإنسان الحياة، والإخراج من الديار معادل ومساوٍ للقتل المخرج للإنسان من هذه الحياة).

ويقول آخر: (واعلموا حفظكم الله أنه لا تعارض بين الولاء للعقيدة والولاء للوطن، ولا تناقض بين أن نعتز بأننا مسلمون، وبين أن نقدس الوطن الذي نعيش فيه،فالعقيدة والدين فوق كل مقارنة، فإذا كان حب الوطن نابع من عقيدة سليمة تصبح التضحية بالدم والمال والأهل واجبًا شرعيًا علينا، فحياتنا لا قيمة لها بدون وطن، هذا الوطن الذي خدم الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض، وكرم الإنسان الذي يعيش فيه وأمّنه على حقوقه، وماله وعرضه، حتى أصبحت كرامة الإنسان وحقوقه هي كرامة وحقوق وطنه، وأن آماله هي آمال وطنه.

وليس يصحّ الزعم بأنّ الوطنيّة تتعارض مع مفهوم الأمّة. فمصلحة كل وطن يفترض أن يكون مدخلًا إلى مصلحة الأمة. تمامًا مثلما أنّ مصلحة كلّ منطقة وكلّ فئة اجتماعيّة هو مدخل إلى مصلحة الوطن، شريطة أن لا تتعارض المصالح. ويكون ذلك بإيجاد تسوية يتعايش على أساسها أبناء البلد الواحد وبموجبها يتنازل كلّ طرف عن بعض حقه لصالح الحق العام).

ويقول آخر: (هل (المواطنة) في منظورها الإسلامي أو بتعبير أوضح هل اجتماعية المسلم في إطار دولته مناقضة لولائه لأمته الإسلامية ووحدتها؟

أو حتى مُشغلة عن السعي لها، أو ما دون ذلك أنها لا تمثل بعض وسائل تحقيقها؟ إننا حينما نتجاوز الصراع بين المتقابلات المفترضة (مجتمع – أمة – مثلًا) وعندما نتحرر من ردة الفعل تجاه معطيات العصر الوافدة نجد أن المعاني

التي يجمعها كونها آداب مجتمع متجانس).

يقول حسين درويش العادلي: (تُثار أسئلة قلقة حول إمكانية قبول مبدأ المواطنة على أرضية قيمية إسلامية، بل أنَّ الاعتقاد السائد هو تعارضهما في الدلالة والاستحقاق، لذلك لم نشهد خطابًا إسلاميًا ناهضًا وحقيقيًا يتبنى المواطنة في عمق التنظير القيمي للدولة وللمجتمع السياسي الحديث. ولعل من أهم النكسات التي مُني بها خطاب الحركات السياسية الإسلامية ذلك المتصل بتجاهل المواطنة في خضم التأسيس الحديث لمشروع الدولة ومقومات وجودها.

وفي الحقيقة أدّى هذا التجاهل التنظيري إلى بناء وحدة فكرية سطحية غير قادرة على التأسيس الحقيقي لمشروع الدولة، بل أنَّ الخطاب السياسي للحركات الإسلامية –حاله حال الخطاب القومي والماركسي– سحق مشروع الدولة الوطنية بتجاهله للمواطنة كوحدة إنتماء وبناء جوهرية لا يمكن تجاهلها في أصل نشوء وبقاء الدولة، وبذلك تم تحميل الإسلام كدين تبعات هذه القراءات للحركات الإسلامية السياسية مما حال دون توظيفه في عمليات البناء السياسي للدولة من الناحية القيمية.

ويطرح البعض مبدأ الإخوة الدينية كأساس قيمي قبال مبدأ المواطنة، على أساس أنَّ الإسلام يؤكد على أولوية الانتماء الديني في صياغة العلائق الإنسانية وتكوين الجماعة السياسية، وأنَّ هذا الانتماء متحرر من لوازم الجغرافيا والخصوصيات الذاتية للمجتمعات، لذا نجد أنَّ بعض الإسلاميين لا يعترفون

بأي رابط يمكن أن يشد أركان المجتمع غير المشترك الديني. إبتداءًا، فإننا نجزم أنَّ الإسلام لا يتعارض مع اعتماد المواطنة كوحدة بناء للجماعة السياسية، بل لا نجد مشكلة قيمية معرفية حقيقية بين مبدأ المواطنة ومبدأ الأخوة الدينية المشار إليه آنفًا، فالإخوة هنا رابطة معنوية متحررة عن الزمان والمكان، أما المواطنة فهي رابطة التعايش المشترك بين أفراد يعيشون في زمان معين ومكان محدد ضمن وحدة سياسية تُسمّى الدولة.

وعمومًا، إنَّ قلنا بوجود مشكلة في قبول المواطنة على أرضية إسلامية فهي ناتجة عن عقلية الجمع بين العقيدة والمشروع، فالعديد من الإسلاميين السياسيين لا يميزون بين لوازم العقيدة ولوازم المشروع السياسي المرتبط بالواقع المتحرك والمتغير والمتعدد، ولعل في طليعة تلكم اللوازم: أنَّ المشروع السياسي المراد إنجازه لا يتم من خلال حمل الواقع كقالب جامد على أساس العقيدة المنجزة دون النظر إلى حركية الواقع وتعقيداته وتحولاته، ولا يمكن حمل الواقع دفعيًا إذا ما كان مغايرًا لخصائص العقيدة، كما أنه سوف لا يصدق على الواقع الخارجي المراد إحداث التغيير فيه، فإشكالية المشروع السياسي تكمن في إيجاد روابط معنوية ومادية قادرة على التعامل مع الواقع كما هو مع محاولة ترشيده على أساس العقيدة أو الإيمان الإيديولوجي.

ولقد أحبَّ الصحابةُ ديارَهم، ولكنهم آثروا دين الله- عز وجل- فقد أُخرجوا- رضي الله عنهم- من مكة، فهاجَرَ مَن هاجر منهم إلى الحبشة، وهاجروا إلى المدينة، خرجوا حمايةً لدينهم، ورغبةً في نشر دين الإسلام.

نعم أيها الإخوة أنه لا تعارض بين الوطنية والقومية من جهة والإسلام من جهة أخرى.

إن الوطنية والقومية بحد ذاتها لا تعارض بينها وبين الإسلام فيما أعتقد فالإسلام يراعي مبدأ الأولويات في كل شيء البدء بالأهم فالأهم فلا يمنع الإسلام المسلم أن يكون مواطنًا صالحًا في وطنه وفي نفس الوقت مسلمًا صالحًا يهتم بإخوانه المسلمين ولكن للأسف غلاة الوطنية الذين أرادوا أن يفصلوا فصلا نهائيا بين الولاء للوطن والولاء للإسلام هم أساءوا للوطنية أكثر من غيرهم وللأسف أيضًا قابلهم غلاة من الإسلاميين فحرموا الوطنية وجعلوها من شعارات الجاهلية وكلاهما في نظري على خطأ.

وكما يقول الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

والوسطية هي التي تدفعنا إلى الاعتراف بالوطنية في ضمن دائرة الإسلام ولو أخذ الناس بمبدأ الوسطية في الفهم لاستطاعوا أن يجمعوا بين هذين الشعارين ويوظفوهما في مصلحة الأمة.

يقول الشيخ ابن باز: الواجب الولاء لله ولرسوله بمعنى أن يوالي العبد في الله ويعادي في الله وقد يكون وطنه ليس بإسلامي فكيف يوالي وطنه، أما إن كان وطنه إسلاميًا فعليه أن يحب له الخير ويسعى إليه، لكن الولاء لله؛ لأن من كان من المسلمين مطيعا لله فهو وليه، ومن كان مخالفا لدين الله فهو عدوه وإن كان من أهل وطنه وإن كان أخاه أو عمه أو أباه أو نحو ذلك، فالموالاة في الله

والمعاداة في الله.

أما الوطن فيحب إن كان إسلاميًا، وعلى الإنسان أن يشجع على الخير في وطنه وعلى

بقائه إسلاميًا، وأن يسعى لاستقرار أوضاعه وأهله، وهذا هو الواجب على كل المسلمين،

نسأل الله لنا ولكم ولجميع المسلمين التوفيق والهداية وصلاح النية والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه[1]، ونقل رحمه الله في رسالته المشهورة "نقد القومية العربية" عن شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله قوله: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)) وغضب لذلك غضباً شديدًا[2]. انتهى.

❊ ❊ ❊

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء التاسع .

(٢) سبق تخريجه .

وخلاصة الكلام:

أن مبدأ ومنشأ الوطنية إنما ظهر في العصور المتأخرة وأول ما ظهر في أوروبا نتيجة لتسلط رجال الكنيسة على الناس والتعارض بين من ينتمون إلى الكنيسة من رجال الدين والعلماء، فظهرت فكرة الوطنية لتحرير الناس من رجال الكنيسة وسلطة رجال الدين غير الصحيح الذي فهمه رجال الكنيسة على أنه يتعارض مع العلم.

ونتج عن ذلك:

١. تحرر أوروبا من سلطة رجال الدين وأصبحت دولا علمانية لا مكان للدين فيها فالدين لله والوطن للجميع.

٢. ولاء الإنسان في وطنه إنما هو ولاء للوطن لا للدين فأخوه في الوطن هو أخوه الذي ينصره ويؤيده على غيره بغض النظر عن ديانته وديانة الآخر ولهذا قامت فيما بينهم الحروب العالمية الأولى والثانية والتي أودت بحياة الكثيرين منهم لأن الولاء كان للوطن فقط.

٣. انتقلت هذه الفكرة للدول العربية والإسلامية وأريد لها أن تطبق كما هي فولاء المسلم إنما هو لوطنه لا لدينه فأخوة في الوطن ولو كان كافرًا هو أخوه الذي ينصره ويؤيده على أخيه المسلم في الوطن الآخر والمصلحة الخاصة مقدمة على المصلحة العامة ونشأ عن ذلك تفرق الأمة وانقسامها وعدم اهتمام بعضها بالآخر.

إن الوطنية بهذا المفهوم القاصر تتعارض تعارضًا كليا مع الدين ولذا فإننا

نستطيع أن نتفهم الموقف الرافض لها جملة وتفصيلًا في الفكر الإسلامي الذي واكب ظهور هذا المصطلح أما الوطنية التي تعنينا اليوم ويدافع عنها كثير من علماء المسلمين ومفكريهم فهي غير الوطنية بالمفهوم السابق إنها الوطنية الفطرية الطبيعية التي تجعل الإنسان يحب البلد الذي نشأ فيه وترعرع ويحرص على مصالحه ويدافع عنه إذا تعرض لأي مكروه لكن هذا الحب لا يتعارض مع ولائه للإسلام ولأمة الإسلام فهو يحزن لحزن المسلمين ويهتم لأمورهم ويشعر بارتباطه بهم فإذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة قدم المصلحة العامة وهي الولاء لدينه ولأمته على الولاء لوطنه وهذا الذي ذكرته هو ما أفهمة من الإسلام العظيم.

فالإسلام يراعي المصالح الخاصة فهو حين قال صلوات ربي وسلامه عليه: "وابدأ بمن تعول"(١) وقال ﷺ: " دينار انفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا دينار أنفقته على أهلك "(٢)، والأقربون أولى بالمعروف كما جاء في الأثر.

لكن إذا أصابت المسلمين مصيبة أو نزل بهم بلاء فإنه يتذكر قول الله عز وجل ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ الحجرات:١٠، وقول الرسول ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد "(٣) وقوله ﷺ: " المؤن

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٣٩٣ حديث رقم ١٤٢٦ .

(٢) صحيح مسلم ٦/ ٢٩٤ حديث رقم ٢٣٥٨ .

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٣٦٧ صحيح مسلم رقم الحديث ٢٥٨٦ .

للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "[1].

إن الوطنية بهذا المفهوم لا تعارض بينها وبين الدين وبهذا تزول كثير من الإشكاليات والشبه التي تثار حول قضية الوطن والوطنية والمواطنة ولله الحمد أولًا وآخرًا.

* * *

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٩ حديث رقم ٢٥٨٥ .

المبحث الخامس: التطبيقات العملية على المواطنة من عهد الرسول ﷺ وحتى عصرنا الحاضر

التطبيقات العملية.

أ- في حياة النبي ﷺ:

١- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل يثرب)، ومن تبعهم فَلحق بهم وجاهد معهم.

٢- إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٣- وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.

٤- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم، وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأَثِم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٥- وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٦- وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٧- وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٨- وإن ليهود بن جُشَم مثل ما ليهود بني عوف.

٩- وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

١٠- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

١١- وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

١٢- وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم.

١٣- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

١٤- وإن بطانة يهود كأنفسهم. (بطانة الرجل: أي: خاصته وأهل بيته).

١٥- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

١٦- وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم.

١٧- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

١٨- وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

١٩- وإن الجار كالنفس غير مُضار ولا آثم.

٢٠- وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه، وإن الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

٢١- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، إنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

اعتبرت هذه الوثيقة اليهود من مواطني الدولة الإسلامية، وعنصرًا من عناصرها؛ ولذلك قيل في الصحيفة: "وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم"، ثم زاد هذا الحكم إيضاحًا، في

فقرات أخرى فقال: "وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين... إلخ".

وهكذا نرى أن الإسلام قد اعتبر أهل الكتاب، الذين يعيشون في أرجائه مواطنين، وأنهم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم، فاختلاف الدين ليس-بمقتضى أحكام الصحيفة- سببا للحرمان من مبدأ المواطنة.

كما عملت هذه الوثيقة على استبدال مفهوم الفرقة والصراع بين الشعوب والقبائل؛ بمفهوم الأمة القائم على الوفاق والتعايش مع حفظ الخصوصيات، حيث تكوَّن لأول مرة في المدينة مجتمع تتعدد فيه علاقات الانتماء إلى الدين والجنس، ولكن تتوحد فيه علاقة الانتماء إلى الأرض المشتركة، هي أرض الوطن.

لقد وصفت الصحيفة- مثلًا- أنَّ اليهود طائفة من المؤمنين، والمؤمنون هنا هم الجماعة السياسية المكونة لمجتمع المدينة الذي توحد على أساس صحيفة المدينة، وقد أكدت أيضًا أنهم الكفة المقابلة للمسلمين في هذه المعاهدة «وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم))، وأنهم جميعًا «أمة واحدة من دون الناس)). وهذا التعريف الواسع للأمة هو إطار الجماعة السياسية المراد تأسيس مجتمع المدينة على أساسه من خلال بنود هذه الصحيفة التي شكّلت إطارًا واسعًا للتعايش بين الأديان والجماعات الإنسانية المتنوعة.

وهذا يتطابق مع مفهوم المواطنة القائم على فكرة العلاقة العضوية بين أفراد المجتمع السياسي للدولة والتي تحتمها ضرورات تنوعهم وتعدد أطيافهم مما يقتضي إيجاد رابطة تشملهم جميعًا. إنَّ تلّمس جوهر صحيفة المدينة يوضح المشتركات القيمية مع مبدأ المواطنة، فقد قامت على الاعتراف بالتعددية وإقرار حرية المعتقد وعضوية الانتماء إلى الجماعة السياسية والشراكة والمساواة في الحقوق والواجبات المعنوية والمادية، كما منحتهم التكافؤ والعزة والكرامة في ظل التجربة المشتركة التي تعتمدهم جميعًا.

ومن الملفت للنظر أنَّ صحيفة المدينة اعتبرت الحقوق هبة الله تعالى وليس لأحد انتهاكها وأنها قرنت الحقوق بالواجبات في تأكيد جازم على ملازمتها لإنتاج حياة مسؤولة وهادفة، وأشارت إلى قدسية حقوق الإنسان من خلال تأكيدها على التعاون ضد الظلم والفساد والطغيان وحماية الضعيف، ولم تعط أي طرف ميزة خاصة، ووثقت مبادىء الإيمان والعدل والمساواة والتعاون بين بني البشر جميعًا.

لقد اعتبر العديد من الباحثين المحدثين أنَّ صحيفة المدينة أول وثيقة حقوقية نظمت العلاقة العضوية بين أفراد الجماعة السياسية وأنها ضمنت الحقوق والواجبات على أرضية التعددية الدينية والعرقية وأنها عقد مواطنة متقدم على عصره.

ورسخت الأيام والمواقف هذا الاتفاق بين النبي ﷺ واليهود، وإن قابله اليهود بالغدر والخيانة، إلا أن النبي ﷺ ظل على خلقه الكريم معهم، في تمسكه

ببنود هذه الوثيقة.

ب – عصر الخلفاء الراشدين.

وترسخ هذا الفهم في نفوس المسلمين جميعا؛ لأنه شرعهم ودينهم، فرأينا جيل الصحابة، وعصر الخلفاء الراشدين-خاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه- يترسخ فيه هذا المعنى ويتأكد، ومن ذلك موقف القبطي الذي تشاجر مع ابن عمرو بن العاص والي مصر، وموقف عمر من هذا الخلاف.

ولما عرَّض أبو لؤلؤة المجوسي في كلامه بما يفصح عن نيته قتل عمر، واقترح أحد الصحابة سجن أبي لؤلؤة رفض عمر بن الخطاب هذا الاقتراح؛ لأنه لم يرتكب جُرْما.

ثم تجلى تطبيق مبدأ المساواة أكثر على يد فقهاء المسلمين، فرأيناهم يجيزون للمسلم أن يتصدق من ماله على غير المسلم، وأن يعطيه من النذور والكفارات، مستشهدين بآيات من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ الإنسان: ٨، والآية مكية، وقد كان الأسرى حينئذ من أهل الشرك، بل رأينا من أئمة التابعين من أعطى الرُّهبان من صدقة الفطر، على ما تمثله صدقة الفطر من أهمية كبرى عند المسلم من عدة جهات.

ورأينا فقيها كشيخ الإسلام ابن تيمية، يضرب أروع مثل لتطبيق مبدأ المواطنة، والحفاظ على أخوة الوطن الواحد، لا فرق فيه بين مسلم وغير مسلم، وذلك عندما أُسر عدد من المسلمين وغير المسلمين عند ملك التتر، فكتب

رسالة لملك قبرص يشرح له موقفا حدث له مع ملك التتر عندما أسر عنده مجموعة من أبناء الوطن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية لملك قبرص المسيحي: (نحن قوم نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة؛ أعظم ما عُبد الله به: نصيحة خلقه... وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم (غازان) فسمح بإطلاق المسلمين، قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون، فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذِمَّتنا، فإنا نَفْتَكُّهُم، ولا ندع أسيرا من أهل المِلَّة ولا من أهل الذمة، وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا إحساننا، والجزاء عند الله)(١).

وعندما جاءت الحملات الصليبية لغزو بلاد المسلمين والعرب، في تسع حملات، لم يسمها المؤرخون المسلمون بالحملات الصليبية، لعدم جرح شعور غير المسلمين من أهل الصليب، بل سموها حروب الفرنجة؛ لأنهم علموا أن الغازين لم يستهدفوا المسلمين فقط، بل استهدفوا العرب جميعا للسيطرة على بلادهم وخيراتهم، وحارب المسلمون وغير المسلمين معا لصد هذا الغزو، وأصر مؤرخو أوروبا على تسميتها بالحروب الصليبية.

ولقد حرص علي رضي الله عنه على حفظ حقوق المواطنة لغير المسلم كرمز لحق المواطنة في الإسلام وأن لجؤه للتحكيم في درعه المسروقة التي وجدها في السوق بيد يهودي مثال على ذلك فقد قبلا بالتحكيم وذهبا للقاضي

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ٢٨/ ٦١٠ .

فلما حضرا أمام القاضي قال القاضي لعلي: اجلس يا أبا الحسن والتفت إلى اليهودي وقال له اجلس يا يهودي فغضب علي وقام من مجلس التحكيم قائلا للقاضي هذا أول جور في حكمك كنيتني في حضرة خصمي فرفض تحكيمه. (أمير المسلمين يقاضي يهودي بدرعه ويرفض الحكم له من يهودي سارق لدرعه لأنه انقص من حق مواطنته بأن كناه في حضرة خصمه).

ج- المواطنة في العصر الأموي:

حافظ الأمويون على حق المواطنة لغير المسلمين وخاصة المسيحيين فقد استعان معاوية بن أبي سفيان بكثير من النصارى لكفاءتهم مثل: وزير ماليته منصور بن سرغون وعين ابن آثال طبيبه الشخصي ثم جعله على خراج حمص وقد حظي الشاعر الأخطل بمنزلة كبيرة عنده حيث كان يلبس صليبا من الذهب في عنقه خلال تجوله في القصور الأموية. والأمثلة على ذلك كثيرة وسنورد بعضها مفصلا لاحقا.

المواطنة في عهد عبد الملك بن مروان:

وقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال له: يا أمير المؤمنين إن بعض خاصتك ظلمني فأنصفني منه وأذقني حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانية فأعرض عنه فوقف له ثالثة وقال: يا أمير المؤمنين إنَّا نجد في التوراة المنزلة على كليم الله موسى عليه السلام أن الإمام لا يكون شريكًا في ظلم أحد حتى يرفع إليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور فلمَّا سمع عبد الملك كلام اليهودي فزع وبعث في الحال إلى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودي حقَّه منه.

لما كان عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أعاد تطبيق أحكام الإسلام الصحيحة ورفع الجزية عن الموالي وقال: «من دخل الإسلام فلا جزية عليه)) وأرسل إلى عماله في الأمصار قراره بذلك مذكرا إياهم بأن الله تعالى أرسل محمدا ﷺ هاديًا ولم يرسله جابيًا.

وأعلن عمر بن عبد العزيز على الملأ أحقية المواطن في شكوى حاكمه إذا ظلمه فقال من ظلمه أمامه مظلمة فلا إذن له علي يدخل وقت يشاء.

بل وشمل عطاؤه لكل مواطنيه مسلمًا كان أو غير مسلم، ففاض المال في عهده فكتب لولاته بأن يصرفوا المال إلى مستحقيه من المواطنين فجعل العطايا لكل وليد وأرملة ويتيم وكل ذي حاجة من المواطنين ومع ذلك وجد فائضا في بيت المال فكتب لولاته يذكرهم بأن يكون لكل مواطن مسكن يأوي إليه وزوجة يسكن إليها إن كان عزبا وخادم يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه وأثاث في بيته ومن كان غارما فليقضوا عنه الدين وأمر لكل أعمى بقائد ولكل مريض أو مريضين بخادم على حساب الدولة وأمر بفدي الأسرى ومع ذلك وجد فائضا من المال فأمر الولاة بشراء العبيد وإطلاقها لوجه الله.

ولم تكن نظرة الإسلام من جباية الخراج الجمع وكنز المال بل كانت تصرف على المصالح العامة حسب أهميتها في أماكن جمعها وقد برهن على ذلك عمر بن عبد العزيز بالرد على رسالة واليه في العراق عدي بن أرطأه إذ أخبره أن الناس تدخل في الإسلام أفواجا وأنه يخشى أن يقل الخراج فأجابه رضي الله عنه: والله لوددت الناس كلهم مسلمون حتى نكون أنا وأنت نأكل من

كسب أيدينا.

ولقد برهن الإسلام على أنه دين رحمة بالمواطنين يضع عنهم الضرائب أيام الضيق فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه في اليمن عروة بن محمد خطابا يذكره بذلك قائلًا له: أما بعد: كتبت إليَّ تذكر أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال ان أخصبوا أو أجدبوا إن حيوا أو ماتوا فسبحان الله رب العالمين. إذا أتاك كتابي هذا فدع ما تنكره من الباطل إلى ما تعرفه من الحق واعلم أنك إن لم تدفع لي من جميع اليمن إلا حفنه(كتم) — نبات يخضب به الشعر — فقد علم الله أني سأكون مسرورا ما دام في ذلك بقاء الحق والعدل.

وضمن الإسلام بحق المواطنة في التحاور مع الثائرين فيه فهذا عمر بن عبد العزيز يحاور ويناقش ويسمع رأي الخوارج الثائرين في العهد الأموي فيرسل إلى رئيسهم خطابا جاء فيه: أما بعد: فقد بلغني أنك خرجت غضبا لله ولرسوله ولست أولى بذلك مني فهلم اناظرك فإن يكن الحق معنا تدخل فيه وإن يكن الحق معك نراجع أنفسنا وننظر في أمرنا فناظَرَهُمْ رضي الله عنه فالقوا السلاح.

وتقر تعاليم الإسلام بأن الإصلاح لا يكون إلا بإحقاق العدل والحق وإنها ترفض استخدام السيف بالبطش فقد أرسل عمر بن عبد العزيز رده لأحد قواده الذي استأذنه باستخدام العنف مدعيا بأنه لا يصلح الرعية إلا السيف والسوط فرد عليه بقوله: كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك منهم واعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين.

وسمح الإسلام للخارجين على حكامه بحرية التعبير شريطة ألا يسببوا أذى أو ضرر للأمة وتمثل ذلك في رد عمر بن عبد العزيز على واليه في الموصل عندما أخبره بأن خوارج حرورية ينتشرون في الأرض مروجين لآرائهم وأفكارهم الفاسدة وطلب منه الإذن بقمعهم وإسكاتهم فرد عليه: إذا أرادوا أن يسيحوا في الأرض في غير أذى لأهل الذمة وفي غير أذى للأمة فليذهبوا حيث شاؤوا وإن نالوا من أحد من المسلمين أو من أهل الذمة بسوء فحاكمهم إلى الله.

وتميز الإسلام بنصرة الحق وخاصة لمواطنيه غير المسلمين وإن حادثة حائط كنيسة يوحنا في دمشق خير دليل على ذلك والقصة مفادها أنه في عهد الوليد بن عبد الملك وعند توسعة المسجد الأموي بدمشق هدم جزء من كنيسة يوحنا وضم للمسجد ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة شكا إليه نصارى دمشق ما حدث لكنيستهم فاصدر أمره بهدم الجزء الغربي الذي ضم للمسجد فثار علماء دمشق وأرسلوا له الوفود لإقناعه بالعدول عن قراره فما كان منه إلا أن أصدر أمره بالهدم وحدد يومه وساعته فلم يجد علماء المسلمين سبيلا إلى حل ذلك إلا الذهاب لرجال الكنيسة والتراضي معهم حتى قبلوا وعقدوا معهم اتفاقا بالرضا رفعوه له فحمد الله وأوقف الهدم لقد طبق عمر بن عبد العزيز الإسلام الحقيقي الذي ينص على نصرة جميع المواطنين وإحقاق الحق والعدل لكل فئات المجتمع من كل الأعراق والأديان حتى شهد له ذلك إمبراطور الروم ليو الثالث حيث رثاه يوم سمع بوفاته بكلماته: لقد مات والله ملك عادل ليس لعدله مثيل.

استمر الخلفاء العباسيون في حفظ حق المواطنة لغير المسلمين إذ استعانوا بالمسيحيين في بناء حضارتهم عن طريق تكليفهم بنقل العلوم من اللغات السريانية واليونانية والبيزنطية إلى العربية كما قدر الإسلام مواطنيه النصارى ذوي الكفاءة والخبرة ونصبهم في أعلى المناصب حسب تخصصهم وخير دليل على ذلك ما أورده الأب لويس شيخو في كتابيه علماء النصرانية في الإسلام ووزراء النصرانية وكتابها في الإسلام خلال الفترة ٦٢٢ إلى ١٣٠٠م على النحو التالي:

علماء النصرانية في الإسلام:

بلغ عدد علماء النصرانية في الإسلام ٣٠٠ عالما ضمن ٣٦٣ تخصصا موزعين على النحو التالي: ٢١٥ طبيبا – ٦٣ ناقلا- ٤٠ فيلسوفا ومنطقيا – ١٥ فلكيا – ١٠ رياضيا – ٧ منجمين – ٥ كيميائيين – ٤ صيدلانيين- ١ جغرافي – ١ نسابة – ١ حجام – ١ اصطرلابي علما بان العالم كان يعمل بأكثر من تخصص لذلك زاد عدد التخصصات عن عدد العلماء.

وزراء النصارى وكتابها في الإسلام:

ذكر الأب شيخو أن عدد وزراء النصارى وكتابها في الإسلام ٤٠٦ أشخاص موزعين على النحو التالي:

٧٥ وزيرا – ٣٠٠ كاتبا – ٣١ متنفذًا مثل القائد وصاحب الشرطة والوالي والسفير وما شابه ذلك. وسنورد بعض الأسماء كنماذج لذلك:

العلماء:

كان العديد من علماء النصارى بارعين في أكثر من علم من العلوم التي ذكرت فقد يكون الطبيب طبيبا وفيلسوفا وناقلا... إلخ.

١. ابن آثال النصراني: كان الطبيب الخاص لمعاوية ابن أبي سفيان.

٢. ابن أبجر الكناني النصراني: كان طبيب عمر بن عبد العزيز.

٣. ابن القس الحكيم مسعود البغدادي: المعروف بابن القس كان طبيب المعتصم وعائلته.

٤. أسرة بختيشوع النسطورية: شغل ١٣ من أبنائها مناصب عليا حيث كان أبناؤها أطباء الأسرة العباسية لقرابة ٧٠ سنة من زمن المنصور إلى المعتمد.

٥. أسرة ابن التلميذ النسطورية: كان منها ٤ أطباء شغل هبة الله بن صاعد رئاسة بمارستان العضدي.

٦. أسرة ابن سيرافيون: عائلة نصرانية كان من أبنائها داوود ويحيى طبيبان وسهراب جغرافيا ولوقا ناقلا.

٧. أسرة ابن المطران: عائلة نصرانية اشتغل أفرادها بالطب وكان منهم أبو نصر أسعد ابن أبي الفتح إلياس ابن جرجس المطران رئيس الحكماء وأوحد العلماء زمن صلاح الدين.

٨. اسرة ابن بطريق: عائلة نصرانية كان أبناؤها سعيد وعيسى طبيبان ويوحنا ويوحنا بن يوسف ناقلان.

٩. ابن الخمار: أبو الخير بن سوار بن بابا بن بهرام كان طبيبا وفيلسوفا وناقلا.

١٠. ابن زرعة: هو عيسى بن زرعة بن إسحاق بن مرقص بن زرعة بن يوحنا كان فيلسوفًا وناقلا وفلكيًا.

١١. ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج المَلَطِيّ (مَلَطِيَّة (تركيا)). كان فيلسوفا وطبيبا وفلكي

١٢. ابن نظير المتكلم النصراني – ابن نصيحا – أبو الحارث الأسُقُفُ: من علماء النصارى المناطقة.

١٣. جبرائيل الكحال: كان يغسل ثم يكحل عيني المأمون بعد الانتباه من النوم.

١٤. قسطا بن لوقا البعلبكي النصراني: كان رياضيا وناقلا وطبيبا وفيلسوفا وفلكيا.

١٥. حنين بن اسحاق العبادي: طبيب نصراني شماس نسطوري عينه المأمون على بيت الحكمة فانصرف إلى الترجمة من السريانية إلى العربية ونقل العديد من الكتب.

١٦. سنان بن ثابت بن قُرَّهْ الحَرَّاني: كان صابئيا وشغل رئيس الأطباء في عهد المقتدر العباسي.

١٧. ابن ميمون (أبو عمران موسى): يهودي أندلسي أصبح طبيب صلاح الدين الأيوبي.

القادة النصرانيون في الإسلام:

١. إسرائيل النصراني: قلده الناصر لدين الله على قيادة الجيش.

٢. مالك بن الوليد النصراني: قلده المعتضد بالله قيادة الجيش.

٣. لؤلؤ الحاجب: أرمني الأصل جعله صلاح الدين الأيوبي قائدا للأسطول المصري.

٤. أبو الكرم بن زنبور: رافق صلاح الدين في حروبه.

٥. العميد ياسر: كاتب ديوان الجيش كما أن ابنه أبو جرجس المكين بن العميد وليَّ الجيش في مصر والشام.

٦. المكين سمعان بن كَلِيلْ: خدم بديوان جيش صلاح الدين.

٧. الربيع بن تاودولفو الكومس: أوكل إليه الأمير الحكم الأول قيادة حرسه الخاص.

٨. بدر الجمالي: أرمني الأصل شغل منصب وزير السيف والقلم لأكثر من ٢٠ سنة ثم خلفه ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه في إمارة الجيوش المصرية.

٩. آشود بن أوشين نزريتسي: أرمني الأصل شغل منصب المستشار في جيش المماليك.

١٠. قرقريش الأرمني: بعثه صلاح الدين على رأس جيش لاحتلال طرابلس الغرب.

١١. إبراهيم بن مهران: صاحب الشرطة المازيار آخر سلاطين بني قارن في طبرستان.

١٢. ابن أنطاكي (جرجس بن ميخائيل): كان قائدا في المغرب لدى الأمير

تميم بن المعز بن باديسمان من ملوك الصنهاجيين – من قبائل البربر –.

١٣. ابن حفصون (جعفر): كان قائدًا في بلاد الأندلس من عائلة نصرانية شهيرة شغل أفرادها مناصب هامة في دولة الإسلام.

الوزراء النصرانيون في الإسلام:

كان أكثر من شغل منصب الوزارة من النصارى أقباط مصر كما شغل آخرون هذا المنصب ومنهم:

١. ابن البشيري (سعد الدين إبراهيم بن بركة): من رؤساء أقباط مصر تنقل في عدة وظائف هامة حتى وليَّ الوزارة أكثر من مرة.

٢. أبو الفضائل أكرم الشهير بالشيخ السديد: هبة الله بن السديد كان وزيرا خدم الملك العادل أحمد بن أيوب

٣. ابن مكانس (عبد الكريم بن عبد الرزاق القبطي): كان وزير الديار المصرية وناظر خاصِّيتِها.

٤. ابن الهيصم: عائلة قبطية شغل أفرادها عدة وظائف وزارية أشهرهم أمين الدين إبراهيم بن عبد الغني.

٥. أبو الفرج بن سعيد (التاج): من نصارى القبط وليَّ الوزارة زمن الأمير بيبرس.

٦. بهرام الأرمني (تاج الدولة): من نصارى الأرمن استوزر بعد مقتل الخليفة الفاطمي الحادي عشر الحافظ لدين الله ثم اعتزل وترهبن.

٧. دنحا: وزير نصراني نسطوري عند أبي محمد الحسن ناصر الدولة

الحمداني صاحب الموصل وهو الذي ساعده كي يتولى حلب.

٨. صاعد بن هبة الله بن توما: لقب بأمين الدولة لدى الناصر لدين الله الخليفة الرابع والثلاثون العباسي أنزله منزل الوزراء واستوثقه على حفظ أمواله وخاصته.

٩. عبد الله بن الصنيعة (غبريال): قبطي مصر كان كاتبا ثم وزيرا بدمشق.

١٠. عبد المسيح فخر الدين: نصراني من أنطاكية أسر فأضحى في خدمة أمير الموصل قطب الدين فحظي بمنزلة لديه حتى صار وزيرا.

١١. عائلة شنودة: عائلة مصرة قبطية ولاها المسلمون على ريف مصر.

١٢. فيلوكسينوس: ولاه المسلمون على الفيوم عند فتحهم لمصر.

١٣. نصر بن هارون أبو منصور: وزير الطائع أمره الخليفة بعمارة البيع والأديرة وإطلاق المال لفقرائها.

١٤. الربيع بن زيد: أسقف البيرة أرسله عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله سفيرا من قبله لدى إمبراطور جرمانية أتون الأول ثم أرسله إلى القسطنطينية وسورية.

١٥. وردان الرومي: كان واليا على خراج مصر زمن معاوية أصله من روم أرمينيا.

١٦. سرجون بن منصور: من نصارى دمشق كان المستشار المالي لمعاوية وشغل أبناؤه المناصب الإدارية والمالية في البلاط الأموي حتى عهد الوليد بن عبد الملك وكان من أحفاده يوحنا الدمشقي.

١٧. كيعوب بن كلس: يهودي استوزر زمن الفاطميين.

كتاب النصارى في الإسلام:

١. ابن البطريق: نصراني من أهالي فلسطين كان كاتب سليمان بن عبد الملك وهو الذي أشار عليه لبناء مدينة الرملة في فلسطين حيث استخدمها سليمان منزلا له.

٢. ابن الصُّقَاعِي (فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي) نصراني ولي وظيفة الكاتب في ديوان المرتجع – مهمة هذا الديوان النظر في قضايا الغش والتزوير–.

٣. الصفي أبو الفضل الأمجد: نصراني عينه الملك الصالح نجم الدين الأيوب بن محمد الأيوبي كاتبا لديوانه يوم الجمعة وسمي بكاتب الدرج.

٤. منصور بن سرجون: نصراني عين رئيسا لديوان المال أيام يزيد بن معاوية في دمشق.

٥. اثناثيوس الرهاوي: كان قيما على أموال الدولة في مصر في عهد المروانيين الأوائل.

٦. سَلَمَويه وإبراهيم بن بنان: جعل المعتصم سَلَمَويه كاتبا لديوانه وسجلاته التي كانت تخط بخطه ثم ولى أخاه إبراهيم خزن بيوت الأموال في البلاد وخاتمه مع خاتم أمير المؤمنين(١).

أحوال النصارى زمن العباسيين:

تعتبر الوثيقة المحفوظة في تاريخ مارميخائيل الكبير أفضل دليل على علاقة

---

(١) انظر مفهوم المواطنة في الإسلام مجلة حلب الثقافية الاربعاء ٧ اكتوبر ٢٠٠٩م .

رئاسة الكنيسة بالخليفة المأمون عبر لقاء البطريرك التلمحري مع المأمون عندما سأله المأمون عن شأنهم وكيف تسير الأمور عندهم فأجابه: «إننا نتمتع بسلام بوجودك))، كما قال بولس لفيلكس: «لقد تحسنت ظروف شعبنا في عهدك وعليه فنحن لا نقدم الشكر فحسب أيها الملك الظافر بل نصلي من أجل أن يطيل الرب حياتك))

هـ- علماء المسلمين وأهل الذمة:

حرص علماء المسلمين على توصية الحكام بمراعاة حقوق المواطنة من أهل الذمة فهذا أبو يوسف يوصي هارون الرشيد في كتابه الخراج بأهل الذمة قائلا: وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك ﷺ والتفقد لهم حتى لا يظلموا أو يؤذوا ولا يتكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم.

واعتبر الإسلام أن جميع مواطنيه متساويين في الحقوق سواء كانوا إسلاما أو مسيحيين أو يهودا وهذا ما برهنه قول شيخ الإسلام أبن تيمية عندما طالب أمير التتر قطو شاه بإطلاق سراح الأسرى فسمح له بالمسلمين وأبى أن يسمح له بأهل الذمة فأجابه شيخ الإسلام لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا وألا تدع عندك أسيرا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة.

و- الإسلام والجزية:

رفق الإسلام بالمعاهدين من أهل الذمة فأخذ الجزية على الشباب الذين لا

يريدون القتال مع المسلمين وأعفى النساء والأولاد والشيوخ وحتى الشباب ذووا الحاجة مقابل المحافظة على دمائهم وأموالهم وإعراضهم وان يحارب عنهم المسلمون وان الأموال التي تجبى منهم تصرف على المصالح العامة عندهم إذ لا يدخل أي جزء منها في الفيء أو الخمس. وهذا ما أثبته خالد بن الوليد عندما قدم العراق ووصل إلى الموصل فيقول: خرج إلى إياس بن قبيصة الطائي في أناس من أهل الحيرة فصالحتهم حسب طلبهم على ما صالحت غيرهم من أهل الكتاب بأن يدفعوا الجزية كما أقروا عن ٧ آلاف فيقول خالد: فنظرت فإذا منهم ألف ذووا حاجة فاتفقت معهم على ٦ آلاف رجل وشرطت عليهم جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين عمالهم منهم فإن طلبوا العون من المسلمين في ذلك أعينوا به ومؤنه العون من بيت المال كما أنه أقر لهم أي رجل منهم شاخ أو ضعف عن العمل أو أصابته آفة أو افتقر وتصدق عليه قومه طرحت عنه الجزية وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار السلام.(هذا هو عدل الإسلام في المواطنة حق وواجب اخذ وعطاء ليس اخذ من طرف واحد فقط)

واليوم هناك من يريد أن يثير قضية الجزية وأن تسمية أهلها بأهل الذمة بأنها درجة ثانية بالموطنة وهذا غير صحيح بل التسمية كانت تكريما بأنهم أهل ذمة نبي الإسلام الذي يعتبر التعرض لهم اذاء له وانه سوف يحاجج عنهم يوم القيامة`إذا تعرضوا لأذى وانه كان لا بدلهم من تسمية عند التعاهد.إضافة لذلك فان التطبيق بالحقوق كان بالمساواة فعلا لا قولا وقد وضح ذلك بالأمثلة التي

ذكرت. وعموما فانه اليوم لم يعد المسيحيون أهل ذمة بل هم أهل كتاب لأنهم يدافعون عن الأوطان مثلهم مثل المسلمون.

الإسلام وإعادة الجزية:

ضمن الإسلام لأهل الذمة حقهم في الدفاع عنهم فان شك المسلمون في عدم تمكنهم من ذلك كانوا يردون الجزية لهم وان ما فعله ابو عبيدة بن الجراح مع سكان بلاد الشام الشمالية عندما حشد الروم حشودا كبيرة ضد المسلمين كتب لهم ابو عبيدة قائلا: انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم اشترطم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك الان وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحن على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم.ولما سلموهم الاموال التي كانوا دفعوها لهم قال لهم اهل الذمة ردكم الله علينا ونصركم عليهم. فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا واخذوا كل شيء بقى لنا.(هذا هو الإسلام التزام بالعهود ووفاء بحق أدائها)

نعم هذا هو الإسلام إسلام الحق، اسلام العدل والمساواة بين جميع مواطنيه، اسلام من كان عليَّةَ قومه ورجاله بلال الحبشي العبد الأسود الذي تزوج أخت عبد الرحمن ابن عوف أغنى أغنياء الإسلام، وسلمان الفارسي الذي قال فيه ﷺ: سلمان منا أهل البيت وأبى بن كعب اليهودي أقرأ قراء القرآن، والبخاري الطشقندي جامع أحاديث الرسول، والقرطبي الأندلسي شارح القرآن ومفسره، والنسائي الخرساني، وابن ماجه القزويني والرازي الأذربيجاني والغزالي الطوسي والسهرودي الايراني وجلال الدين الرومي، والزمخشري

الخوارزمي وطارق بن زياد البربري. من أذكر ومن لا أذكر.... ذلك هو الإسلام الذي كان سلاطينه من الإخشيديين والسلاجقة التركمانيين والأيوبيين الأكراد والعثمانيين الأتراك ومماليكهم (من الأتراك والجراكسة والمغول).هذه هي عباءة الإسلام التي احتضنت جميع الأعراق والأديان والطوائف.

نعم لقد كان الإسلام أول من أوجد المواطنة والوطنية فكرة وشعورا وممارسة وتطبيقا ثم كانت النهضة الأوروبية فقامت بتحويل الفكرة والشعور والممارسة إلى نظرية وقوانين.

نعم لقد كان الإسلام سباقا لتطبيق دولة المواطنة التي تحقق فيها الحق والعدل والمساواة على جميع مواطنيه وإن ما ذكر من أمثلة كان على سبيل الذكر لا الحصر نعرضه تبيانا لعظمة الإسلام وسماحته ونرسلها إلى أمريكا وأوروبا لكي يعرفوا كيف حفظ الإسلام حقوق المواطنة لغير المسلمين كما حفظها للمسلمين تماما وليقارنوا بما يفعلوه اليوم بمواطنيهم من المسلمين وحتى العرب المسيحيين أبناء دينهم الذين يحملون جنسياتهم فشتان المقارنة بين ما شرعه رب العباد وبين ما يشرعه العباد وصدق الله العظيم حين قال: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ يونس: ٤٤.

ولعل هذه المعاني تظهر فيما استقر عليه مجمع اللغة العربية في تعريف الوطن بأنه: مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه ولد به أم لم يولد.

أما كلمة واطن بمعنى أن يعيش مع قوم في وطن واحد ففي المعجم الوسيط أنها محدثة، بمعني أنها جديدة في هذا الاستعمال.

المبحث السادس: كيف يكون حب الوطن وواجبنا نحوه.

كيف يكون حب الوطن.

إن حب الوطن واجب شرعي وديني وأخلاقي، هذا الحب يجب أن يترجم إلى واقع والى أفعال تؤكد هذا الحب وذلك الانتماء، حب الوطن هو شعور لا يجب أن يظل حبيسا في الصدور ومكنونات النفس، حب الوطن يجب أن يترجم إلى أفعال والى أقوال، الوطن يستدعي منا جميعًا أن نعّبر عن هذا الحب وان يكون هذا الوطن ومصلحته وبقاؤه هو هدف أسمى لنا جميعًا، هذا الحب لا يترجم بحسب الهوى والمصالح الشخصية والذاتية، فليس من حب الوطن معادة الوطن وأهله،وليس من حب الوطن نهب خيراته وأمواله، وليس من حب الوطن العمل على الفرقة بين أبنائه وغرس ونشر ثقافة الكراهية والحقد والبغضاء والمناطقية والمذهبية بينهم،وليس من حب الوطن أن نبتز الوطن من اجل مصالح أنانية أو ذاتية، وليس من حب الوطن الاستقواء بالخارج،أو التهديد باستخدامه، وليس من حب الوطن التهديد بالانفصال وفك عرى وحدته.. إن الفارق بين حب الوطن وخيانة الوطن أمر واضح جلي لا يحتاج منا إلى إجهاد فكر حتى نتوصل إليه، وحتى لو كانت النوايا حسنة في حب الوطن، فلن تشفع أبدًا في اختيار الوسيلة غير المناسبة للتعبير عن ذلك الحب.

حب الوطن شعور نبيل راق لا يمكن أن يزايد عليه إلا من هو كاره للوطن ولأهله،حب الوطن ليس مجرد أبيات شعرية نتغنى بها، أو خطب عصماء نحمس بها الجماهير، حب الوطن هو أحاسيس ومشاعر تترجم إلى أعمال

وأفعال، حب الوطن يعني المحافظة عليه وعلى مقدراته وخيراته، حب الوطن يعني الدفاع عنه قولًا وعملًا من كل ما يستهدف أمنه واستقراره.

فإذا تقرر هذا؛ فما العمل الواجب على المسلمين عمومًا، وعلى أبناء هذه البلاد ـ المملكة العربية السعودية ـ على وجه الخصوص، أن يقوموا به تجاه دولة بها من الخصائص والمزايا التي تفوق باقي الكرة الأرضية جمعاء؟

فهذه الدولة بها قبلة المسلمين، ومسجد سيد ولد آدم أجمعين، وبها المشاعر المقدسة، أضف أنها الدولة الوحيدة على البسيطة التي خلَت من الأضرحة والمشاهد والمزارات، وهي الوحيدة التي تطبق شرع الله في جميع أمورها وأحوالها، والوحيدة التي بها مجلسًا للشورى، وهيئةَ أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر، وهي الدولة الوحيدة التي تُغلِق فيها المتاجر أبوابها أوقات الصلوات المكتوبة ـ فلله الحمد والمنة ـ فمثل هذه الدولة المباركة بين دول العالم ـ اليوم ـ أجمع؛ كمثل شعرة بيضاء في جنب ثور أسود، أو شعرة سوداء في جنب ثور أبيض، لتميُّزها الواضح الذي لا يخفى إلا على العميان.

فأعود وأُجيب على التساؤل المطروح، فأقول:

الواجب على أبناء هذا الوطن خاصة؛ محبته، والتكاتف بين أفراد مجتمعه والتلاحم فيما بينهم، فإذا كنا لبنة واحدة؛ عجز عنا العدو وباء طمعه بالخسران.

ومن مقتضى محبة الوطن على أهله؛ القيام بالواجبات المنوطة على كل فرد بأمانة وإخلاص، على اختلاف المواقع والمراكز والمناصب والرتب، بدأً بالبواب وانتهاءً بالملك.

ومن مقتضى محبة الوطن؛ المحافظة على ثرواته وخيراته، وعدم العبث بها وهدر أموال بيت المال، بحجة أن هذا المال للدولة؛ وأنا ابن الدولة، لا.

أنت مؤتمن على كل ما يُوكَل إليك من أعمال، وراع في وزارتك، أو إدارتك، أو مكتبك، وأنت راع لمن ولّاك ولي الأمر عليهم من العاملين، يقول ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...) رواه البخاري(١).

وقال ﷺ: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)،صحيح ابن حبان(٢).

ثم إن العجب لا ينقض؛ من أناس وُلِدوا وترعرعوا ونشأوا، وتربوا وعاشوا في هذا الوطن، وأكلوا من خيراته، وتعلموا العلوم باختلاف التخصصات في مدارسه ومعاهده وجامعاته، ثم يخرجون على المسلمين، فيقتلون إخوانهم، ويدمرون ممتلكات وطنهم ومواطنيهم، بالتفجير الذي هو من عمل الخوارج المارقين.

والبعض لا يكن لوطنه حبًا، بل يستوي عنده من يذم وطنه ومن يثني عليه، ولا يفرق بين قادح ومادح، وهادم وبانٍ، بل والأعظم من هؤلاء، من يُلبِّس على الناس بنشر الأكاذيب المختلقة، ونشر الرذيلة عن وطنه، وينسى الفضائل، بل ويسترها. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن لوازم محبة هذا الوطن، احترام ولي الأمر ومحبته، وكراهة الكلام فيه، وبغض من يتكلم فيه ويغتابه ويبغضه، وعدم الخروج عليه وإن جار وإن ظلم،

(١) صحيح البخاري ٩/ ٢٨٥ رقم الحديث ٢٥٥٤ .

(٢) صحيح ابن حبان ١٨/ ٤٨٦ رقم الحديث ٤٥٦٩ .

والسمع له في المنشط والمكره، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ النساء:

وقال ﷺ: (إن أُمّر عليكم عبد حبشي مجدّع، فاسمعوا، وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله) رواه مسلم والترمذي والنسائي(١).

فالحمد لله أن ولاة أمرنا في هذه البلاد ـ المملكة العربية السعودية ـ يقودونا ويسوسونا بكتاب الله وسنة نبيه.

قال ﷺ: (من أكرم سلطان الله – تبارك وتعالى – في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله – تبارك وتعالى – في الدنيا أهانه الله يوم القيامة) رواه احمد(٢).

وقال ﷺ: (اسمع وأطع، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك) صحيح ابن حبان(٣).

ولنعلم أن السمع والطاعة للأمير في المعروف؛ عبادةٌ يُتقربُ بها إلى الله تعالى، لأن الذي أمرك بالصلاة والزكاة وبقية أركان الإسلام وفرائضه وواجباته؛ هو الله سبحانه وتعالى وهو الذي أمرك بطاعة السلطان واحترامه، ومحبته، وعدم الخروج عليه، لا باللسان ولا بالسنان، وعدم إذلاله وتجريحه.

قال ﷺ: (من فارق الجماعة، واستذل الإمارة لقي الله – عز وجل – ولا

---

(١) انظر جامع الأصول لابن الأثير ١/ ٢٠٨٠ حديث رقم ٢٠٤٢ .

(٢) مسند احمد حديث رقم ٢٠٩٧٢ .

(٣) صحيح ابن حبان ١٠/ ٣٧٩ حديث ٤٢٦ .

وجه له عنده، وفي رواية –ولا حجة له). أخرجه احمد[1].

ومن لوازم محبة الوطن، أن يشارك الجميع في بنائه، وتعليم أبنائه وتوجيههم الوجهة الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة، فليس المعلم هو المسئول عن التعليم والتوجيه فحسب، بل الداعية عليه مسئولية في ذلك، وإمام المسجد كذلك، وخطيب الجمعة، وصاحب القلم في الصحف والمجلات، وأصحاب التأليف، والعلماء لهم الدور الأكبر لأن الناس يثقون بهم أكثر، ولن أنسى دور التاجر، إذْ المال له النصيب الأوفر في بناء الأوطان، ونشر الكلمة الطيبة، وذلك بالمساهمة في طبع ذاك الكتاب، أو هذه المطوية، أو دعم مشروع خيري مصرح به، وأما دور المعلم على اختلاف المراحل، فهو دور لا تُعد ولا تحصى أركانه ودرجاته، فعلى المعلمين في المداس والجامعات أن يتقوا الله، ويغرسوا في أبناء الوطن حب الوطن المشروع وليس المغْلُو فيه.

وأمّا دور رجال الأمن باختلاف أقسامهم، وتنوع وحداتهم، جوًا وبرًا وبحرًا، فعليهم يُعوِّل المجتمع بعد الله تعالى في حفظ الأمن والاستقرار؛ الشيء الكبير، فهم يعتبرون حُرّاس العقيدة، وحراس الفضيلة، وحماةً للوطن من كل عابث وحاقد وحاسد، فالله الله يا رجال الأمن في أن يُؤتى الإسلام من قبلِكم، فقد عرفنا لكم مواقف عدة؛ تُشكرون عليها، وتستحقون عليها وسام المحبة والتقدير من مجتمعكم أجمع، بقمعكم الخوارج المارقين على الدين والدولة، وفي إبطال أغلب مخططاتهم الإجرامية في أوكارها وقبل وقوعها، فلكم من

---

(١) مسند احمد

إخوانكم في هذا المجتمع ـ السعودي ـ كل تحية وكل سلام.

وأما صاحب الدور الأول في تأصيل الانتماء للوطن ومحبته المحبة الشرعية لدى الناشئة، فهي الأسرة، التي فيها نشأ ونمى، فعليها الحمل الثقيل والعبء الأكبر في تلقين الأبناء الألفة، والولاء لهذا الوطن، أو ذاك.

وكما أن محبة الأوطان مشروعة، إلا أن الغلو في محبتها أمر مذموم.

فنحن أمة وسطًا في جميع جوانب الدين، بل نحب وطننا حبًا شرعيًا، يكون تحت مظلة محبتنا لديننا، لما نرى فيه من إعلاء لكلمة التوحيد من قبل حكامنا، ونشرهم للدعوة السلفية، وصلاحهم، واحترامهم وإجلالهم للعلماء، وسعيهم للخير في كل قطرٍ في المعمورة، نسأل الله المزيد من التوفيق والخير.

والحبُّ للوطن لا يقتصر على المشاعر والأحاسيس؛ بل يتجلَّى في الأقوال والأفعال، وأجمل ما يتجلى به حبُّ الوطن الدعاء.

الدعاءُ تعبيرٌ صادق عن مكنون الفؤاد، ولا يخالطه كذبٌ، أو مبالغة، أو نفاق؛ لأنه علاقة مباشرة مع الله.

لقد دعا الرسول– ﷺ– للمدينة، كما في الصحيحين: «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَي ما جعلتَ بمكة من البركة)) رواه البخاري(١) ومسلم(٢).

وفي مسلم: «اللهم باركْ لنا في تمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعِنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهم إن إبراهيمَ عبدُك وخليلُك ونبيُّك، وإني عبدُك ونبيُّك، وإنه دعاك لمكة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعا لمكة، ومثله معه))

(١) صحيح البخاري ٢/ ٦٦٦ حديث رقم ١٧٨٦ .

(٢) صحيح مسلم ٣/ ٩ حديث رقم ٣٣٩٢ .

رواه مسلم[1].

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن نبيِّه إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام أنه دعا لمكة المكرمة بهذا الدعاء، قال الله تعالى ﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنا وارزق أهلي من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ البقرة: ١٢٦.

ودعاء إبراهيمَ- عليه الصلاة والسلام- يُظهِر ما يفيض به قلبُه، مِن حبٍّ لمستقر عبادته، وموطن أهله.

ولقد دعا لمكة بالأمن والرِّزق، وهما أهم عوامل البقاء، وإذا فُقِد أحدُهما أو كلاهما فُقِدت مقوماتُ السعادة، فتُهجَر الأوطانُ، وتَعُود الديارُ خاليةً من مظاهر الحياة؛ ولهذا نرى أن الله- سبحانه وتعالى- شدَّد في عقوبة مَن يُفسِد على الديارِ أمنَها؛ بل جعل عقوبتَه أشدَّ عقوبةً على الإطلاق؛ قال تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأربجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ المائدة: ٣٣، فهل بعد هذه العقوبة من عقوبة؟!

وقد دعا الإسلامُ إلى فِعل كلِّ ما يُقوِّي الروابطَ والصلات بين أبناء الوطن الواحد، ثم بين أبناء الأُمَّة، ثم بين بني الإنسان.

ومما يتجلى فيه حبُّ الأوطان: صلة الأرحام، فهم عترة الإنسان وخاصَّتُه، وهم قرابته وأنسه، وبهم تطيب الإقامة في الديار؛ لذلك جعل الله صلةَ الأرحام

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٠ حديث رقم ١٣٧٣ .

من أعظم القُرُبات، وقطيعتَهم قرينَ الإفساد في الأرض.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله- ﷺ-: ((إن الله خَلَقَ الخلْقَ، حتى إذا فرغ منهم، قامَتِ الرَّحِمُ فقالت: هذا مقامُ العائذ من القطيعة، قال: نعم، أمَا ترضَيْنَ أن أصلَ مَن وصَلَك، وأقطع مَن قطَعَك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لكِ))، ثم قال رسول الله- ﷺ-: ((اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها﴾ محمد:٢٢-٢٤))(١).

وينتقل الإحسانُ إلى دائرة أخرى من الدوائر التي تحيط بالإنسان، وهي دائرة الجوار، وهل تطيب الإقامةُ في الدار إن عدا عليك فيها جارٌ؟

لذا جعل الإسلام الإحسانَ إلى الجوار مِن كمال الإيمان، كما جعل الإساءة إلى الجوار من أسباب دخول النار؛ عن أبي هريرةَ: أن رسول الله- ﷺ- قال: ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))(٢).

وتَّسع الدائرة لتشمل الإحسان إلى كل مسلم؛ قال- ﷺ-: ((لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّه لنفسه)).

وتتسع الدائرة لتشمل الإحسانَ إلى أهل الأديان الأخرى، وهم شركاؤنا في الوطن، وجاء عن رسول الله- ﷺ- أنه قال: ((ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة))(٣).

(١) صحيح مسلم ١٦/ ٣٩١ حديث رقم ٦٦٨٢ .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٦٨ حديث رقم ٧٣ .

(٣) سنن أبي داود ٩/ ١٩١ حديث رقم ٣٠٥٤ باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات .

وتبلغ دائرة الإحسان مداها، لتشمل الحيوان، والنبات، والحجر، وكلَّ شيء؛ قال- ﷺ-: ((إن الله كَتَبَ الإحسان على كل شيء))(١).

فإذا تحقَّق الترابط بين أبناء الوطن الواحد، كان الجو مهيَّأً للبناء، وأول خطوة في طريق التقدم هو التعليم، فإذا انتشر العلم النافع بين أبناء الوطن، وتربَّى النشءُ تربيةً صحيحة، يتحقق أول وأهم مقوِّم من مقومات الحضارة، وهل الحضارة إلا مكوَّن يتركب من الإنسان، والتراب، والزمان؟.

وقد حرص الإسلام على نشر العلم بين أبناء الأمة، فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولًا: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ العلق:١، وأول أداة وآلة ذُكِرتْ في القرآن هي القلم، قال- تعالى-: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ القلم:١.

ولما هاجر النبي- ﷺ- إلى المدينة، وبدأ بتأسيس حضارة إسلامية، بدأ بنشر التعليم بين أبناء المدينة المنورة، فجعل فديةَ مَن يعرف القراءةَ مِن أسارى بدرٍ أن يُعلِّم عشرةً مِن أبناء المسلمين.

وكان يعلِّم وفود البلاد التي تَقدَم عليه، ويأمرُهم بالرجوع إلى بلادهم؛ حتى يعلِّموا مَن خلفهم؛ عن مالك بن الحويرث قال: قدمنا على رسول الله- ﷺ- ونحن شببة، فأقمنا عنده نحوًا من عشرين ليلةً، وكان رسول الله- ﷺ- رحيمًا، فقال لنا: ((لو رجَعتُم إلى بلدكم فعلَّمتموهم- أو قال: أمرتموهم- صلوا صلاة كذا وكذا، في حين كذا وكذا، فإذا حضرَتِ الصلاةُ، فليؤذِّن لكم أحدُكم، وليؤمكم أكبرُكم))(٢).

(١) سنن النسائي ٣/ ٦٢ كتاب الضحايا .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٦٥ حديث رقم ٦٢٨ باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد .

وأما تربة الأرض، فهي المقوم الثاني من مقومات الحضارة، وتربة الأرض تشمل سطحَها، وتشمل ما في باطنها، فهي تعني زراعتَها، واستثمار ما في جوفها من خيرات.

وقد عُنِيَ الإسلامُ بزراعة الأرض أيَّما عناية؛ لأنها مصدر قُوتِ الإنسان، وهي ضمان لاستقلاله وقوَّته، وأيما أمة لا تَزرع أرضَها، ولا تَملك قُوتَها، أمةٌ لا تملك قرارَها، ولا حرِّيتَها، ولا سيادتها؛ لذلك نظَّم الإسلام امتلاكَ الأرض، ووضع أحكامًا تُعنى بالحفاظ على هذا المقوِّم من مقومات الحضارة والتقدم.

وأكتفي بهذه الإشارة التي تُفهم من هذا الحديث؛ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله– ﷺ–: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل))[1].

وحب الوطن الذي لا يعارض الشرع يعني الإتقان، الإتقان في كل الأعمال، في التعليم، وفي الزراعة، وفي الصناعة، الإتقان في أمر الدنيا وأمر الآخرة، فكل منتَج في بلاد المسلمين يجب أن يحمل علامةَ الجودة الفائقة.

عن عائشة، قالت: قال رسول الله– ﷺ–: «إن الله– تعالى– يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)).

ولكن الأمر في الواقع على خلاف هذا القول!

وحب الوطن يعني: الحفاظ على الحق العام، وقد بيَّن النبي– ﷺ– أن الناس شركاءُ في أمورٍ، لا يجوز لأحد الاستئثارُ بها، أو الاعتداء عليها.

(١) مسند احمد ٣/ ١٩١ حديث رقم ١٣٠٠٤ وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

قال- ﷺ-: «الناس شركاء في ثلاثة: في الكلأ، والماء، والنار))(١).

وقال: «وإماطة الأذى عن الطرق صدقة))(٢).

وقال: «أعطوا الطريق حقه))(٣).

وقال: «اتَّقوا اللاعِنَينِ؛ الذي يتخلَّى في طريق الناس أو ظلِّهم))(٤).

حب الوطن في الإسلام: هو محبة الفرد لوطنه وبلده، وتقوية الرابطة بين أبناء الوطن الواحد، وقيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام، ووفاؤه بها.

وحب الوطن في الإسلام: لا يعني: العصبيةَ، التي يُراد بها تقسيمُ الأمة إلى طوائفَ متناحرةٍ، متباغضة، متنافرة، يَكِيد بعضها لبعض، وفي الحديث: «مَن قُتل تحت راية عُمِّيَّة، ينصر العصبية، ويغضب للعصبية، فقتلتُه جاهليةٌ))(٥).

حب الوطن في الإسلام: لا يعني: اتِّباعَ القومِ أنَّى ساروا، ونصرَهم على كل حال؛ بل يعني: العدلَ والإنصاف.

وعن عبَّاد بن كثير الشامي، عن امرأةٍ منهم يقال لها: فسيلة، قالت سمعت أبي يقول: سألت النبي- ﷺ- فقلت: يا رسول الله، أمِنَ العصبيةِ أن يحب الرجلُ قومَه؟ قال: «لا، ولكن من العصبية أن يُعِينَ الرجلُ قومَه على الظلم))؛ رواه

(١) سنن ابن ماجة باب المسلمون شركاء في ثلاث ٧/ ٤٣٩ حديث ٢٥٦٦ .

(٢) صحيح مسلم ٦/ ٣٢٢ حديث رقم ٢٣٨٢ باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٣) الأدب المفرد باب مجالس الصعدات ١/ ٣٩٣ حديث رقم ١١٥٠ .

(٤) مسند احمد ١٩/ ١١٩ حديث رقم ٩٠٨٨ .

(٥) سنن ابن ماجة باب العصبية ١٢/ ٨٨ حديث رقم ٤٠٨٣ .

أحمد وابن ماجه.

وحب الوطن في الإسلام: لا يعني: الانفصال عن جسد الأمة الإسلامية، أو نسيان مبدأ الإنسانية، فلا ننصر مظلومًا، ولا نغيث ملهوفًا، ولا نعين مكروبًا، ما دام أنه ليس في حدود الوطن، والنبي- ﷺ- يقول: «مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم مثلُ الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعَى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) متفق عليه(١).

إن حدود الوطن التي تلزم التضحية في سبيل حريته وخيره، لا تقتصر على حدود قطعة الأرض التي يولد عليها المرء؛ بل إن الوطن يشمل القطر الخاص أولًا، ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى.

فأينما ذكر اسم الله في بلد   عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

إن المسلم يحب وطنه، ويعمل كل خير لبلده، ويتفانى في خدمته، ويضحي للدفاع عنه.

وإن المسلم يعمل للأمة، ويحزن لحزنها، ويفرح لفرحها، ويدافع عنها، ويسعى لوحدتها.

وإن المسلم يقدِّم الأقرب فالأقرب، ولا ينسى من هو بعيد.

إذ أن حدود الوطن تقع في وعي الإنسان المسلم بين ثلاث دوائر متداخلة:

الدائرة الأولى: الانتماء العقيدي، فالأمة الإسلامية أمة واحدة ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدوني﴾ الأنبياء: ، وبلادهم وطن للمسلمين

(١) سبق تخريجه .

جميعًا،وكل أرض تحت سلطة المسلمين فهي دار الإسلام.

الدائرة الثانية: الكيان السياسي: حيث يعيش كل إنسان ضمن دولة يحمل جنسيتها، وترتبط قضايا حياته ومستقبله ومصيره بهذا الكيان، وإذا كان الإنسان المسلم يتمنى أن تندمج هذه الكيانات الإقليمية ضمن كيان إسلامي واحد كبير، فإن ذلك لا يعني أن لا يتحمل مسئولية تجاه هذا الكيان الذي يعيش ضمنه، ويتأثر بواقعه وأوضاعه ويشترك مع سائر المواطنين

الدائرة الثالثة: الوطن العرفي: وتعني البلد والمنطقة التي ولد الإنسان ونشأ فيها مدينة كانت أو قرية، وإليها عادة تنشد مشاعر الإنسان ويتركز حنينه وشوقه، فحتى لو انطلق ضمن الدائرة الثانية يبقى منجذبًا إلى هذه الدائرة.

وهذه الدوائر الثلاث متداخلة والانتماء والولاء لكل دائرة منها لا يتناقض مع الولاء والانتماء للدائرة الأخرى بل يتكامل.

يقول أحد المفكرين: " إن الانتماء الأكبر لا يعني إنكار وجود انتماءات ثانية وصغرى وفرعية.. فتلك حقيقة تشهد عليها الفطرة السليمة لدى الإنسان، فلدى المسلم السوي، الذي يمثل الانتماء الإسلامي هويته الأولى وجامعته العظمى، إحساس فطري بأن له انتماءات وولاءات صغرى وفرعية، تلي الانتماء الإسلامي، ولا تتعارض معه.. فالأمة الإسلامية كالجسد الواحد، لكن لهذا الجسد أعضاء، لا ينفي تميزها وتفاوتها وحدة هذا الجسد..

والفطرة الإنسانية تشهد على أن للإنسان منا ولاء وانتماء إلى "الأهل" بمعنى الأسرة والعشيرة.. وإلى "الشعب" في الوطن والإقليم الذي تربى ونشأ

فيه.. وإلى "الأمة"-الجماعة- التي يتكلم لسانها ويشترك معها في الاعتقاد الديني.. ثم إلى الإنسانية التي خلقه الله وإياها من نفس واحدة.

تشهد الفطرة السليمة. لدى الإنسان السوي على ذلك دونما تناقض أو تعارض بين هذه "الدوائر" في الولاء والانتماء ".. فهي أشبه ما تكون بدرجات سلم واحد، يفضي بعضها إلى بعض، وتدعم إحداها الأخرى، بشرط أن تخلو مضامينها من الشطحات العنصرية ونزعات الغلو في التعصب، التي تقطع الروابط بين هذه الدوائر.. فلا مشكلة في تعدد دوائر الانتماء، طالما قام وربط بينها الانتماء الأكبر وهو الانتماء إلى الإسلام...

فالإنسان إذا عاد إلى فطرته السليمة فإنه سيجد حنينًا خاصًا إلى المكان الذي ولد فيه، وولاءًا للوطن الذي ضمن له الرعاية والحماية والخدمات، وانتماءًا للوطن الأكبر الذي كونت ذكريات انتصاراته وطموحاته وآماله والأمة مخزون التاريخ والتراث.... ".

❊ ❊ ❊

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فقد انتهيت من إعداد هذا البحث المتواضع، توصلت من خلال إلى هذه النتائج:

١. أهمية الوطن لكل ذي نفس إنسانًا كان أو غير إنسان، والعرب تفرق في الأوطان بين الأسماء فيقولون وطن الإنسان، وعطن الإبل، وعرين الأسد، وكناس الظبي، ووجار الذئب والضبع، وعش الطائر، وكور الزنابير، ونافقاء اليربوع، وقرية النمل.

٢. الوطن كلمة عربية خالصة كما قال ابن فارس، وهي تعني في اللغة منزل الإقامة أو محل ولادة الإنسان ونشأته.

٣. لم ترد كلمة الوطن بهذا اللفظ في القرآن وإنما وردت كلمة مواطن وهي تعنى المواقف والمشاهد في موضع واحد في قوله سبحانه ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ التوبة:١٢٥، ومع أن كلمة وطن لم ترد في القرآن بصيغتها الثلاثية هذه فإن مدلولها ومفهومها ورد بيقين في القرآن مع تنوع في الصيغ التعبيرية واللفظية، ومن تلك الألفاظ التي وردت في القرآن تعبر عن الوطن:

أ – الدار ومشتقاتها، ب – الأرض، ج – القرية، د – البلد والبلدة، هـ- الهجرة،

و- الجلاء، ز – المعاد.

٤. مع أن كلمة وطن لم ترد في القرآن إلا أنها وردت في السنة وهناك أحاديث كثيرة فيها كلمة وطني ووطنًا وأوطان، ووردت أيضًا بألفاظ أخرى منها:

أ – القرية، وفرقت السنة بين القرية والمدينة.

ب – الأرض.

٥. الحديث الذي يتداوله كثير من المثقفين والكتاب " حب الوطن من الإيمان " فهو ليس بحديث بل نص العلماء على أنه موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ فلنتنبه إلى ذلك.

٦. عدم التعارض بين حب الإنسان لوطنه الذي ولد فيه وهو الأصل مع حبه لوطنه الذي أقام فيه بعد ذلك مع حبه لأمته ووطنه الإسلامي الكبير.

٧. الوطن في الإسلام يجمع أجناسًا كما يجمع ألوانًا من الناس، ويجمع في حماه أيضًا أديانًا ومللًا وشعوبًا بدليل الآية الكريمة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ فهو وطن العدل والمساواة واللاعنصرية.

٨. تحدث البحث عن نشأة الوطنية وأصل هذه الكلمة وأنها كلمة إغريقية يونانية Citizenship ومتى كان أول استخدامها في الغرب والأسباب التي دفعت الغربيين لاستخدامها وأنها كانت ضد تسلط رجاء الكنيسة وهي تعني عندهم أن الولاء للوطن مقدم على أي ولاء سواه حتى لو كان للدين، ومن هنا كان رفض الإسلاميين المتقدمين لهذه الفكرة رفضًا باتًا.

٩. وفي العالم العربي ظهر أول ما ظهر مصطلح القومية العربية وكان المراد

منه أن يكون بديلًا للخلافة العثمانية فظهر مصطلح العروبة مقابل مصطلح الخلافة وأن العرب مع بعضهم يكونون قومية لها مصالحها الخاصة بعيدًا عن المصالح الإسلامية العامة فظهرت جامعة الدول العربية واستمرت هذه القومية فترة من الزمن ذاق الناس إيجابياتها وسلبياتها، ثم لما ذبلت هذه الرابطة القومية وضعفت بين الشعوب استطاع العدو أن يجمع الناس على مصطلح ضيق بعد تقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة وفق معاهدة فجمعها على مصطلح الوطن والوطنية والمواطنة.

١٠. أول من أطلق كلمة وطن ووطنية في العالم العربي كما يرى الدكتور محمد حسين هو رفاعة الطهطاوي.

١١. أبان الباحث عن إشكاليات مفهوم الوطنية عند الرافضين لها وهي:

أ – أنها مفهوم غربي علماني قام على أساس فصل الدين عن الدولة.

ب – حدة مواقف القوميين ودعاة الوطنية الضيقة الذين تحولت عندهم الوطنية إلى عصبية منافرة للإسلام وجعل الولاء للوطن دون الدين.

١٢. أبان البحث أنه لا تعارض حقيقي بين حب الإنسان لوطنه الذي ولد فيه أو لوطنه الذي أقام فيه أو لوطنه الكبير وأمته الإسلامية.

١٣. ذكر الباحث نماذج تطبيقية على المواطنة منذ عهد الرسول ﷺ وحتى يومنا الحاضر.

١٤. أول تطبيق عملي للمواطنة كان في حياة النبي ﷺ وفي المعاهدة التي كتبها النبي ﷺ وبين اليهود في المدينة، هذه الوثيقة عملت على استبدال مفهوم

الفرقة والصراع بين الشعوب والقبائل؛ بمفهوم الأمة القائم على الوفاق والتعايش مع حفظ الخصوصيات، حيث تكوَّن لأول مرة في المدينة مجتمع تتعدد فيه علاقات الانتماء إلى الدين والجنس، ولكن تتوحد فيه علاقة الانتماء إلى الأرض المشتركة، هي أرض الوطن.

إنَّ تلّمس جوهر صحيفة المدينة يوضح المشتركات القيمة مع مبدأ المواطنة، فقد قامت على الاعتراف بالتعددية وإقرار حرية المعتقد وعضوية الانتماء إلى الجماعة السياسية والشراكة والمساواة في الحقوق والواجبات المعنوية والمادية، كما منحتهم التكافؤ والعزة والكرامة في ظل التجربة المشتركة التي تعتمدهم جميعًا.

ومن الملفت للنظر أنَّ صحيفة المدينة اعتبرت الحقوق هبة الله تعالى وليس لأحد انتهاكها وأنها قرنت الحقوق بالواجبات في تأكيد جازم على ملازمتها لإنتاج حياة مسؤولة وهادفة، وأشارت إلى قدسية حقوق الإنسان من خلال تأكيدها على التعاون ضد الظلم والفساد والطغيان وحماية الضعيف، ولم تعط أي طرف ميزة خاصة، ووثقت مبادىء الإيمان والعدل والمساواة والتعاون بين بني البشر جميعًا.

لقد اعتبر العديد من الباحثين المحدثين أنَّ صحيفة المدينة أول وثيقة حقوقية نظمت العلاقة العضوية بين أفراد الجماعة السياسية وأنها ضمنت الحقوق والواجبات على أرضية التعددية الدينية والعرقية وأنها عقد مواطنة متقدم على عصره.

ورسخت الأيام والمواقف هذا الاتفاق بين النبي ﷺ واليهود، وإن قابله اليهود بالغدر والخيانة، إلا أن النبي ﷺ ظل على خلقه الكريم معهم، في تمسكه ببنود هذه الوثيقة.

١٥. أبان البحث المظاهر العملية لحب الوطن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

كشاف المصادر والمراجع

– أحكام القرآن، لمحمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المالكي (ت:٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

– ٤٧) تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، نشر: دار التراث- بيروت، الطبعة الثانية- ١٣٨٧هـ.

– تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني،ابو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥ه) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

– تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ابو جعفر الطبري (ت:٣١٠ه) صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ت:٣٦٩ه) الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ه.

– تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦ه)، ط.دار الكتب العلمية – بيروت.

– تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن احمد بن الأزهري الهروي، ابو منصور (ت:٣٧٠ه) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

– تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: ابو نعيم احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠ه) الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر ١٣٩٤ه – ١٩٧٤م.

– الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

– سلسلة الأحاديث الصحيحة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى.

– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، نشر: دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

– السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت:٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

– سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

– سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

– سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة، أبي عيسى الترمذي، (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

– السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

– السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

– سنن النسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بـ (النسائي)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

– السنة المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الاسلامي – بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٠ه.

– شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

– صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت:٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

– صحيح أبي داود- الأم المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الاولى ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م.

– صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

– صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

– صحيح وضعيف تاريخ الطبري، المؤلف: محمد طاهر الرزنجي. طباعة: دار ابن كثير – دمشق – ط١ - ٢٠٠٧م.

– صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

– صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

– صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

– صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

– تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.

– ضعيف ابي داود – المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠ه) دار النشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ه.

– عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لمحمود بن أحمد بن موسى بدر الدين، العيني (ت:٨٥٥هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩م، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

– فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٤ه.

– فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

– فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي

القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)

الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى ١٣٥٦ه.

– القاموس المحيطالمؤلف :مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق :مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف :محمد نعيم العرقسُوسي الناشر :مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة :الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

– الكنى والأسماء، المؤلف: أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم- بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

– لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت:٧١١هـ)، نشر: دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ.

– المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١- ١٩٩٠م.

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة

الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

– سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

– مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

– مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي (ت:٦٦٦ه) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠ه ١٩٩٩م.

– المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى / احمد الزيات / حامد عبدالقادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

- الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ) قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر- بيروت-لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

***

كشاف المواضيع